طفلات اليوم نساء الغد ما بين التروما والنرجسيّة: تجوال - حَيْرَة واستِبعاد

رجاء مكّي

تمهيد

«ومضات خافتة، استوقفتني الطوابير المنتظرة على محطّات البنزين لثانيةٍ، ثانية عمرها أكثر من 35 سنة. تعود إلى الثمانينيّات وقت الحرب والأزمات، حيث كنتُ أذهب أنا وإخوتي ننتظر في الطابور لوقتٍ طويل أمام فرن الخبز، لحظات تمرّ دائمًا في ذاكرتي، ذكريات مُعتِمة، أشاهدها كما أشاهد أفلام الأبيض والأسود من دون حنين ولا حتّى حِقد».

هذا ما قاله لي «وسام» بتاريخ 2021/5/11 في أثناء بدء الاكتظاظ في أزمتنا الاقتصاديّة. فلجيلِ الحرب امتدادٌ تعابُريّ بين الأجيال Le transgénérationnel يُذكِّرني بمقالة د. «عدنان حبّ الله»، وهو محلِّل العنف الأهليّ كما أُطلِق عليه، عن التحوُّلات الاجتماعيّة وانتقال الموروثات في الهويّة مِن جيلٍ إلى جيل، والذي زَاوَجَ ما بين المُمارَسة العياديّة والتنظير الفلسفيّ والاجتماعيّ. فعدا مُشكلات الحرب والدَّمار أو التأقلُم بين الأقليّات، تظهر موروثاتُ الجيل الثاني والثالث من الجيل الأوَّل، حيث يحمل الجيلُ الأوَّل موروثاتِ الحِقد، كما سبق وشاهدنا ذلك في الضواحي الفرنسيَّة وتحديدًا أحداث Clichy-

sous-Bois[1]؛ فلا وجود لمحايَدة منذ التطوُّر المُتأزِّم، إذ إنّه ليس وليد الساعة بل إنّه نموٌّ مستمرٌّ منذ ثلاثة أجيال، الجيل الثالث عادةً هو الذي ينطق على غير عِلم منه بما هو مكبوت عند الجيل الأوَّل، وهو الذي استعاد مكبوتَ الجيل الأوَّل وأَخرج إلى العلن ما كان في الخفاء. إنَّه عنفٌ متفجِّرٌ في سياقِ كبتٍ متراكِم غالبًا ما يُرجِعُهُ المُراهِق على الأخصِّ على الأرض عنفًا قالوه الآباء في الخفاء. وهنا نطاًل مفهومَيْن أساسيَّيْن:

ـ الدّين كهويّة تُناهِض الهويّة الوطنيّة.

ـ إعادة النظر في المفهوم القوميّ وكيفيّة تقبُّل الآخر الغريب.

وهكذا تُصبِح الحربُ الأهليّة كامنةً في نفسِ كلِّ واحدٍ فينا وتتحكَّم القوميّة النرجسيّة والحنين إلى ماضٍ استعماريٍّ ولّى[2]. ولقد عبّر «أمين معلوف» عن هذه الوضعيَّة بأحسن تعبير حين قال: «البلدُ الذي يُحزِنُني غيابُهُ ويستحوذُ عليّ ليس هو البلد الذي عرفتُه في شبابي، إنّه البلدُ الذي حلِمتُ به والذي لم يرَ النورَ أبدًا»[3].

مشهدٌ أوّليٌّ مرجعيّ

بدأت «فاديا» قصّتَها وبعدما أَخفت مطوَّلًا هذا الحدث من حياتها «نعم أنجبتُ منه ولدًا ولم أعرفْ ولم أكنْ أعلم كيف... أذكر أنَّه على الرّغم مِن حبّي له اغتصبني... أتمنّى عودتي إلى البراءة... هل كانت هذه العلاقة هي علاقة ضدّ الأهل، تعاضدتُ فيها معه على أهلي وأهل الحرب وأهل السلطة؟ الاتِّحاد بوحدة القوَّة مقابل المحاسبة الدّينيّة على اللِّباس والكمّ ما بين «الرُّسْغ والزَّند»، هكذا كانت تقول أمّي.

أهِي جُرأةٌ في المُواجَهة أم عدمها؟ أهو السرّ أم الخوفُ من السرّ؟ الخوفُ من انكشافه؟ وغالبًا ما كان سرّ الرغبة؟ لماذا عشتُ الكذبة وقبلتُ بتعذيب الذات؟ نعم لقد كنتُ مازوشيَّة، لقد ارتبطنا جميعًا بالعذاب وبمصيرٍ موحَّدٍ بين الأخوة «يا بنعيش سَوا ـ يا بنموت سَوا».

«واللَّواتي يعملْن في جمعيّاتٍ مدنيَّةٍ ضدَّ العُنف ربّما خضعْن له ورُهِنَّ لعنفٍ رمزيٍّ».

(1) عدنان حبّ الله، «مكبوت الجيل الأوّل يحلّ في الجيل الثالث ـ قراءة سيكولوجيّة لأحداث الشغب الفرنسيّة» (جريدة **النهار** 2005/11/19) متاح على https://archive.alahednews.com.lb/details.php?id=313113

(2) المرجع نفسه.

(3) Amin Maalouf, *Les désorientés* (Paris: livre de poche, 2012).

«أتمنّى العودةَ إلى البراءة، اخترُت العذابَ، واجهتُ التقاليدَ القاسية وكلّو بْرَجْعو لأمّي على الرّغم مِن حبّي الفائض لها، أمّي شخصٌ يعشق الحزنَ وأمانَ الرغبة القاتلة وصولًا إلى تعذيب الذّات (Auto-Punition)».

«نحن جيل حرب... ما لازم إنسى إنّو جيل حرب! بحرب إسرائيل بتذكَّر اللَّون الأزرق، تجليد الكُتب الأزرق اللّي نحطّوا عالبواب تيسكِّر الضوّ... وما بدّي أنكر حرب بيروت، حروب بيروت، كنّا صغاراً فيها... أثَّرَت كتير...»

وبهالأجواء... الأب موجود بس ما بعرف ليه غيّبت صورة الرجل. ذهبت لهذه العلاقة أعلاه وأعطيته جسدي لاستعطاف صورة الرجل في البطالة وغياب العمل ولم يكُن يعمل ووجدته رجلًا مكان أبي على الرّغم مِن أنّي ساعدتُه ماليًّا».

نذهب في هذه الحالة إلى فكرتيْن أساسيّتيْن:

ـ فكرة الأم الميّتة la notion de la mère morte.

ـ تروما الحرب.

تكمنُ أهمِّيَّة كتاب باحثات الحالي في رصْد التعايُش مع العنف بأشكاله المتنوِّعة، ما جَعَلَ بلادنا مساحةً حيويّة لفهْم العنف عبر الأجيال المُتعاقبة. فالحروب المباشرة ليست الحروب التي تحمل الطابع العسكريّ فحَسْب، بل تلك التي تحمل عدم الانتظام والقلق والعبء على الذاكرة، وبخاصّة لدى الطفلات المتلقِّيَات، ضحايا الحروب. وكون هذا الكتاب يسعى للتعرّف إلى هذه الفئة، فإنّ مساهمتنا ستُركِّز على استخراج القلق المتوارث، والإصغاء إلى مُعاناة الطفلات اللّواتي شكَّلنَ لحظاتٍ من التفكُّك الاجتماعيّ والانفعالِيّ. وقد أَحْبَبْنا في هذا البحث التشارُكيّ أن ندخلَ في محور حكايات العنف لنتشاركَ ولِننقلَ الإصغاءَ، والتدخُّل وأيضًا لوصْفِ الضحيّة وتسليط الضوء على وَجَعٍ مخزَّن.

1) عقدة الأمّ الميّتة: Complexe de la mère morte

وهي استعارة نستعين بها علاجيًّا لفهْم بعض أنواع الانهيارات التي يُمكِن أن تحدثَ في خلال عمليّة النُقلة، وتتجلّى بتحوُّلَ الانهيار عبر تواجدٍ للموضوع الذي امتصّ الحداد... ومِن دون الدخول في تفاصيل التحليل والعلاج، يُمكِن القولُ إنّه موقفٌ متأتٍّ

من أمّ فَقدتْ عزيزًا (طفل أو أحد الأهل أو الأقارب)، والذي ينعكس أو انعكس على علاقاتها بالمحيط وتحديدًا أولادها وهو موقف يأخذه المُحلِّل بعَيْن الاعتبار ويُحلِّله كأداة انعكاسيّة أوَّليّة وكأداة نقلة رمزيّة تُساعده على كشْفِ المكبوت ومضمونِ الحداد أو المأزم، وخصوصًا مع الأطفال أصحاب الشكوى أو مِمَّن يَظهرون في الحالات التي اعتمدتها الدراسة. ذلك أنّ اللّاوعي مبنيٌّ كاللّغة.

يشرح A.Green أنّ تجربة الطفلة أو الطفل هنا هي تجربة العلاقة مع الموضوع مع أمّه وإلى أيِّ حدٍّ كانت قابلة للحياة وللفرح وتتحوَّل فجأة إلى باردة، مطفأة وكأنّها ميّتة؛ وكأنّ الوضعيّة هي وضعيّة تحوُّلٍ في الفراغ وترْكه عرضة للقلق والأوهام، وكيف أنّ فراغ الفكرة يُمكِن أن يتحوَّلَ إلى دفاعاتِ قلقٍ لا تُشجِّع على الاندماج وتُصبح قطيعةً في إطار البُعد البدائيّ أي الأوَّلِيّ وأمام تروما نفسيّة حقيقيّة لا توصف وتبتعد عن طلب الحبِّ والحياة. فما بين نرجسيّة الحياة ونرجسيّة الموت يقبع الضياع، ضياع الموضوع، ويتعرَّض الولد من خلال ذلك إلى مُضاعفاتٍ واضطهاد يستثمرها بشكلٍ مشوَّشٍ ومُلتبِس. وإزاء عدم شعوره بالتمركُز أمام أمّه يحسّ أنّه يعيش مِن دون فائدة. وفي هذه الحالة وكأنّ الأم تفتعل الحربَ مع ولدها[4].

2) تروما الحرب

تترابط العلاقة ما بين الطبّ النفسيّ بأنواعه والحروب بساحاتها؛ وهي علاقة تبادليّة تسعى لمنْعِ الانهيار:

ـ ما بين الجنود.

ـ أو لدَرْسِ الأعراض النفسْجسديّة غير المفسّرة.

فالحرب صدمة بأصواتها وبأدواتها وبنتائجها وبأعراضها (سواء نجم عنها إصابة أم لا). وأوَّل استعمال لكلمة «تروما» كان للتعبير عن الأذى؛ ومع التطوُّر الصناعيّ والتِّقنيّ والعِلميّ بدأ الالتفات إلى الأعراض المَرَضيّة وما ينجم عنها من تجارب سيِّئة وصادمة... بعد الإصابة...

(4) André Green, «La mère morte», in: *Narcissisme de vie, narcissisme de mort* (Paris: Éditions de Minuit, 1980), 222-253.

من جهةٍ أخرى تختفي الحضارة ويختفي التحضُّر في الحروب الأهليّة، ويختفي أيضًا التعديل الغرائزيّ لا بل يلتهب Le remaniement pulsionnel. تؤثِّر الحروب بقوّة ولا تستقدم إلّا الدوافع الحادّة، فلنقلْ إنّها عودة إلى الخليقة منذ بدئها، وهي عودة إلى البدائيّة (والبدء) وهذا ما يراه «فرويد» بأنّه بُعدٌ أوَّلِيٌّ مثبتٌ وغير مقولبٍ اجتماعيّا، إنَّه مشهدٌ أصليٌّ وأساسيٌّ يعود في عصرنا إلى القتل والتابو والسفاح والثنائيّة العاطفيّة[5]. وقد عَرَضَ «فرويد» في هذا السياق الروابط التي تَجمع ما بين الإنسان المتحضِّر والثقافات البدائيّة وتطوُّر الطفل ببُعدٍ أنثرُوبُولوجيّ دقيق على الرّغم مِن تعرُّضه للانتقاد.

وترتبط «التروما الناجمة عن الحروب» بالبُعد النرجسيّ، فيحدث الانشطار حتّى في الأمراض العصابيّة، وهو انشطار الأنا ما بين الأنا القديم والمثال الحربيّ الجديد، فتحصل نواةَ عصابٍ صدماتيّ ناجمٍ عن الحرب Névrose traumatique.

نذكر أنّ هذه النقطة بالذات شكّلت مفصلًا أساسيًّا في النظريّة الفرويديّة لأنّ الحرب لا تُنتِج القلقَ وتُدير النرجسيّة وتفضي إلى تضاعُف التماهيات الأوَّليّة فقط، بل إنّها تُفكِّك القواعد الأخلاقيّة اللّازمة لبقاء المُجتمع وتُدخله في متاهة الأمراض العقليّة المبكّرة والصادمة وتُبقيه في حالةٍ من الطوارئ. فالحربُ في غايتها تأخذ الفرد خارج إطار تلبية احتياجاته، أي خارج الإنتاج وخارج مبدأ اللَّذة، فيتمّ التركيزُ على المانع الصدماتيّ بتأثيرٍ ارتجاعيّ، وتدور التروما حول الحبّ.

* * *

سَيْر العمل والمُقارَبة المنهجيّة

لدى التعرُّض لآفات الحروب وتأثيرها في الأفراد، يدورُ النقاشُ العلميّ حول ما سمّاه Marcel Czermak «الثقافة: سياسات مريضة»[6]؛ وهي مسألة ترتبط بالجدال العلميّ وهويّة العلوم وعناوينها وكونيَّتها، ويَعتبر أنّ العلوم قد انحازت بقراءتها وبمَواقفها إلى جانب واقع Le Maître أو السيِّد الذي يملك القوّة مِن دون أن يملك القدرة، ولا يملك

(5) Sigmund Freud, *Actuelles sur la guerre et la mort*, (Paris: PUF, 1981).

(6) Marcel Czermak, «Au service de Maître», 1987 https://www.monde-diplomatique.fr/1987/09/CZERMAK/40304.

أن يدير رغبته الجامحة المعكوسة من خلال اتّساع رقعة تأثير وسائل التواصل الاجتماعيّ، بحيث لم تُحلّ أيٌّ من المسائل ويستقيل الكلّ من أمام المسؤوليّات. فحتّى «الجامعة» l'université بالمطلق ذهبت في خدمة «السيّد». فأين تكمن الحقائق؟ نعيش في لبنان حقيقة واحدة في الوقت الحالي هي انهيار الاقتصاد، إذ أصبح القلق المكبوت أو المتفلّت ككابوسٍ يرتبط بحقيقة الإنتاج ومُستمَدّ من إرثٍ الحرب وذاكرتها وبربريّتها.

ونحن في هذه الحَيْرة لا بدّ من أن يأخذ التحليل النفسيّ مكانه الصحيح لكنّه وللأسف يُنعت بالاستحالة وبعدم القدرة، وهو موقف ناجم عن الموضوع المرتبط بالفكرة وبالوجع وبالسبب، وكلّها أسباب معرفيّة انتقاليّة ترتبط باستبعاد الذات التي لا يُمكِن أن تُستبعد: الإنسان ـ المتعة ـ التراخي ـ التحوُّلات ـ الشجاعة... وكلّها مشاعر ومواقف ترتبط بالموضوع، موضوع الرغبة، الذي تصيغه الهوامات والذي يتّكىء على حياةٍ اجتماعيّة معاشة.

هل هُم ضحايا مهمَّشون في مُجتمعاتٍ تخلو من المشروعات، على الرّغم من كلّ المشروعات المقدَّمة للمُجتمع الأهليّ ومشروعات الدعم النفسيّ التي لا تتمكّن من استخراج الباطن لأنّ الدعم يختلف عن التحليل؟! وما قيمة استخدامهم من خلال المُجتمع نفسه كضحايا في مُجتمع يبدو واضحًا أنّه يعيش على آفاتٍ أخرى ويمنع نفسَه من المُواجهة الجذريّة أو المُواجهات الأخرى؟

وعليه، فإنَّ اضطرابات الأطفال والمُراهقين هي اضطراباتٌ سلوكيّة لكنّها في الوقت نفسه اضطراباتٌ يُمكِن تسميتها Sans Sujet (مِن دون ذات)، وضياع الذات لا ينفع معه أواليّات بدائيّة كالدَّعم ولا حتّى العلاجات القصيرة وجعْلها من الأولويّات.

نحن إزاء تعقيدات موضوعات علم النفس المرضيّ للولد وللمُراهق، وأمام تداخُلاتٍ في توجُّهات الفهْم وآليّات التدخُّل غير المسؤول أحيانًا، وأمام مُقارباتٍ عَلنيّة وإعلانيّة لا تحفظ السرَّ العلاجيّ ولا تتعلَّق إلّا بسيرورةٍ واحدةٍ لكادر العلاقات التبادليّة، أي بالدّينامية الأُسريّة وبالكادرات الجامِعة (au pluriel) في إطار العلاقة مع الآخر، للتعرُّف إليه وللتمكّن من ترميز عوارضه، وهذا لا يُمكِن أن يتمَّ إلّا من خلال مساحات انتقاليّة وبُعدٍ عاطفيّ محكِيّ يُملي الفراغ غير المسمّى، نحن في إطار معرفة لا بدّ لها من الإيحاء التحليليّ (Inspirations Psychanalytiques).

تكمن الملاحظة العياديّة عبر الإنصات والإصغاء للمُعاناة، لنصلَ إلى «فوضى الضغط» من خلال ذاكرة الحرب والعمليّات العسكريّة المُعاشة والراكدة والمتخيَّلة على أساس أنّها عنفٌ سلبيٌّ؛ يُجبَر الباحثُ أن يمارس دورَه العياديّ حول العنف الجسيم الذي يكسر سيَر الأجيال. وهو بُعدٌ سياسيٌّ أساسيٌّ يرصد الوضعيّات التعابُريّة والكولونياليّة ويُميِّز بين الناشط والعياديّ، ما بين الذاتيّة الاجتماعيّة التي تتمظهر في العلاقة.

وتحدّث فرويد عن نزوة الموت ونزوة التدمير؛ من هنا الملاحظة الأساسيّة الأولى... ومن هنا يُمكِن إطلاقُ مثلٍ مُلِحّ، حيث نُلاحظ من حالات عدم الإنجاب لدى نساء متزوِّجات، هنّ بأغلبهنّ مرتبطات بحمْلٍ غير شرعيّ سابق أثَّر لاحقًا في رغبة الإنجاب، فسيطرتْ نزوةُ الموت وتجلَّت بعدم القدرة على الإنجاب.

نموذج تقديم الحالة

سنُركِّز في عرض كلِّ حالةٍ على:

أ ـ عرض عامّ (الجندر، المستوى العلميّ، الوضع الصحيّ والبيئيّ).

ب ـ ظروف الجلسات وشروط العمل: الطلب والتقنيّات المُستخدَمة، وصف حالة النقلة وتموضُع المُعالِج.

ت ـ تاريخيّة الحالة والوضع العائليّ مفصَّلًا.

ث ـ العوارض.

ج ـ الأواليّات الدفاعيّة.

ح ـ العمل العلاجيّ، ما بين الفكرة والنظريّة وترميز المواقف.

* نلفتُ إلى أنّ العمل العياديّ قد تمّ في أثناء جلساتٍ علاجيّة، والأسماء التي استُخدمت هي أسماء مُستعارة.

دراسة الحالة

هي مستوىً من التحليل متَّبَع يعتمد على تِقنيّاتٍ أخرى وسيطة ومُساعِدة بهدف إرساء قواعد عمل عياديّ علاجيّ في هذا المجال.

ولقد جَمَعَ فريقُ العمل حوالى ثماني حالاتٍ عياديّة خلال السنوات الثلاث الأخيرة، وتمّت مُتابعتها علاجيًّا في ظِلّ الإقبال على العلاج والتحليل النفسيّ، وتراوحت الأعمار ما بين 3 سنوات و11 سنة، وهي فترة تتعمّق أوديبيًّا وتبقى ضمن مرحلة الكمون لحينِ دخولِها مرحلة المراهقة. إنّه رصيدٌ لفتياتٍ صغيرات حملْن وجه أهلهنَّ وصدماتهم العاطفيّة، فأثَّرت في صورتهنّ عن أنفسهنّ، ليُصبحَ التجوالُ تجوالاً للأفكار الحائرة، فضلاً عن مسألتَيْ الاستبعاد والاضطهاد.

دوفيل (O. Douville) وأطفال الحروب[7]

يَعتبر Douville أنّ الحربَ هي انتقامٌ وهي استبعادٌ للهناء حتّى الهناء المتخيّل، فيسأل الطفل لماذا الحرب وما هي أسبابها لأنّها أسبابٌ غيرُ مفهومةٍ بالنسبة إليه، حيث تبقى الحربُ (وخصوصًا إذا ما كانت حربًا أهليّة) مشروعًا قرابيًّا مبنِيّاً على مَوت الآخر وعلى الانتقام، فحتّى الحُلم هو حُلم صدماتيّ أساسيّ (Standard)؛ إنّها حروبٌ لا تُفبرِك إلّا القلق.

ومن أهمّ ما ركّز عليه (بالإضافة إلى التروما الناجمة عن الحرب) هو ذاك السياق الذي يمشي مع الحرب الأساسيّة، حروب الصغار الذين نستخدمهم إمّا بوصفهم جزءًا من مُمتلكاتنا وإمّا كجزءٍ خلفيّ غير منظَّم لجيشٍ منظَّم. إنّهم الجنود الصغار Les enfants soldats. أطفالٌ أحياء وكأنّهم موتى يعيشون من جرّاء الحرب بوهْمِ الدّفاع أو الاستخدام في سبيل القضيَّة، والقضيَّة مُعاشة لكنْ غير مفهومة بالنسبة إليهم.

إنّها آليّة الارتباط بواقع الحرب وبنتائجها مهما كانت حدّة الالتزام أو الابتعاد:

- الموت.
- التحرُّش الجنسيّ والاغتصاب.
- نقص الغذاء.
- قسوة الحياة اليوميّة.
- مُحاكاة ساخرة وقاسية.

(7) Olivier Douville, «Des mineurs sous la guerre, aujourd'hui, l'exemple de situations africaines,», *les psychologues et les guerres* (Paris: *l'Harmattan*, 2010) http://bibliothèque.uqac.uquebec.ca/index.htm.

ـ سجن قانونيّ وهميّ في مُواجهة حروبٍ قبائليّة لا ذنب لهم فيها.

ـ هُم جنود جُنِّدوا من قِبَلِ جنودٍ أوصياء عليهم.

ـ إضفاءٌ وهميّ للبطولة وللتضحية.

ـ الفوضى في الأنظمة والتراتبيّة.

كلّ هذا ناجمٌ عن تزاوجٍ ما بين العنف وغموضه في ظلِّ مشروع سياسيّ غير هادف، ويتعرَّض من جرّاء ذلك إلى تهميش الأب الفعليّ واستبداله، وإلى تصنيم جسده Fétichisation وتشييئه، وهي كلّها لا تنفع في انبناء زوايا فاعلة في الجسد ولا في الروح، وهي استقطابٌ لمثالٍ في الأنا خاصّ ومُقلقٍ يبتعد عن النصر، لا بل يقترب من السوداويّة إلى حدِّ الهَوَس. أطفال الضَّياع والصَّنميّة لا يُمكِن لهم إلّا أن يكونوا ضحايا.

فرانز فانون F.Fanon ورمزيّة الاستعمار[8]

في حديث Fanon عن التعصُّب الكولونياليّ، رَبَطَ صورة الذّات المُستعمرة بالإمبرياليّة وقدّم صُوَرًا تحليليّة مهمّة يُعيدها التحليل النفسيّ اللّاكاني المعاصر نظرًا لأهمّيّتها. فالخطاب الكولونياليّ هو خطاب أيديولوجيّ يحمل بداخله صُوَرَ الحرب والعنف ويُعيد ذلك إلى ما أسماه هَذيان التملُّك (Délire de possession). وهذا ما يضع الناشِئة على الأخصّ أمام عدم فرصة التفكير وإعادة الإنتاج إلّا بشكلٍ أوّليّ أي طفليّ، بدائيّ، نَزَواتيّ، لا يخرج من إطار ردّات الفعل؛ وهذا ما يترك في النفوس ليس الفعل العنفيّ فحسب، بل يترك توافُقَ ثنائيّةٍ مضاعفة كالاغتراب عن الذات وعن الموضوع في الوقت نفسه، ويضعنا في مواقف بوليسيّة للجهوزيّة، وهذا ما طرحناه مع Douville في مفهوم «الجنديّ الصغير».

وهنا ستكمن أيضًا نظرتنا إلى التمييز واستباحة الذات بالحِقد ونكران «الأنْسَنَة» الداخليّة وتبدو الشخصيّة أو اللّاشخصنة Dépersonnalisation، من دون نسيان ثقافتنا الداخليّة وهي بدورها أوّليّة أيضًا.

(8) فرانز فانون، **معذّبو الأرض** (القاهرة: مدارات للأبحاث والنشر، مكتبة نور، 1925).

إنّ الاستعمارَ يُناجي الحُلم واللّهث وراء... والقبض على... وبشكلٍ أساسيّ الانخراط في الحروب التي يُمكِن أن تقوّض دعائم الذّات وصورة الجسد وعدم الحمية من الانهيارات الذهانيّة الحادّة.

وهذا ما يضعنا أيضًا أمام مُواجَهةٍ مع ما نسمّيه L'indigène أو الأصليّ ويستعدّ العارض للظهور Le symptôme؛ فما بين التروما والعارض يتذبذب الإرثُ الثقافيّ ويتمحور في أسطورةٍ عائليّة تحتاج إلى قراءاتٍ عدّة للرغبة غير «المُنجلية».

عرض الحالات[9]

الحالة رقم (1): اللاّوعي الأنثويّ والحرب الأهليّة... الأبّ القاتل[10]

- **تقديم الحالة**

«نور» اِمرأة تعيش دومًا تحت وطأة أحمال طفولتها، فهي ثمرة زواج مُختلَط نتيجة الحراك الديمغرافيّ والطائفيّ؛ الأب عسكريّ، هاجَرَ إلى بيروت بسبب الحرب الإسرائيليّة؛ واستُبعدَ عن أرضه ليجدَ نفسَه ناطورًا لبناية في بيروت حيث التقى زوجته «البيروتيّة». لم تُكمِلْ «نور» دراستها الجامعيّة وتزوّجت في عمر السابعة والعشرين، أجهضت مرّتَين قبل ولادة ابنها.

- **طلب الاستشارة**

خَضعت «نور» للاستشارة النفسيّة من خلال مؤسّسة تُعنى بالدَّعم النفسيّ. كانت تتناول الأدوية المضادَّة للِاكتِئاب بسبب انفعالها وغضبها المتكرِّر نحو ابنها وحسبما قدّمت: «هي طفلة في امرأة». من هنا استنسابنا لهذه الحالة.

- **تاريخيّة الحالة**

الأب عنيف يضرب زوجته وأطفاله. شارَكَ في الحرب الأهليّة واضطرّ لإرسال أسرته لأشهرٍ إلى قرية الجدّة (لأمّها). لم يشعروا بوجوده في محنتهم، حارب فأهمل دَوره كأب.

(9) راعى عرضُ الحالات وتقديمها مبدأ أخلاقيّات المهنة وقوانينها، كما راعى مبدأ الإشراف Supervision والمُراقَبة Contrôle.

(10) حالة من تقديم المُعالِجة النفسيّة السيّدة «رندا البرّاج».

خسر الأب رجله في الحرب وزاد عنفه. تقول «نور» بحزن: «بيّي الذكر عانى من تسلُّط أمّي وحرْصها على إدارة البيت. وعانت أمّي من قسوة بيّي وإهماله»، «بالحرب كانوا يتّكلو على النسوان، بتتعب النسوان وبتولّد ليقولو ابن فلان، وهي كانت اللّي بتحاسب وبتراقب وبتخاف علينا ما نقطع الحدود».

لقد عانت «نور» منذ طفولتها من مَشاهِد الحرب الأهليّة ومن مَشاهِد الأنثى المُناضِلة والمُجاهِدة (صورة أمّها): «خَدَمَتْنا، زَرعتِ الأرض، تعايشَتْ مع الحرب وأصوات المَدافع والصواريخ، ما كانت تخاف و«كانت تقول خلّي يسترجي يقنّص لخلّيه إنتاية».

تقول «نور» في إحدى الجلسات «أنا أُشبِه أمّي، جدّتي؛ خالاتي الأربع وبنات خالاتي أجهضت كلّ واحدة منهنَّ ذكرَيْن؛ نحن نقتل الذكور، منعيش حالات بعضنا، أرحامنا بترفض الصبيان». فذكرت ابنها الذكر الذي أزعجها حضوره.

وتتابعت الصدمات بموت أقاربها، وهي تُعبِّر عنهم بشعورها بفقدانٍ مُتتالٍ ومستمرّ، فقد شهدت على وفاة أحبابها من جرّاء الحرب، جدّتها (لأمّها)، عمّتها، أمّا الحبيب فاستشهد في أرض المعركة. «دايما بتساءل هل مُمكن يموت خيّي أو ابني؟»

- **العوارض**

تعاني «نور» من رعب الحرب والمجهول، فهي عدوانيّة، سريعة الغضب، منطوية على ذاتها، تتناول المهدِّئات وتُسقِط غضبها على زوجها وابنها. تتناقض مشاعرها بين الحبّ والكُره، تتماهى بأنثى العائلة المنصهرة بالوجع والرافضة للذّكر.

- **التحليل**

أثّرت الحرب الأهليّة في لبنان في أدوار والـدَيْ «نور» وغيّرت وظائفهما. فعندما شاركَ الأب في قتال «الغريب» على حدّ قولها، محاولًا حماية وجوده، خسرَ رجله وشعرَ بالانكسار والعجز، فصبّ جام غضبه على العائلة وزاد العنف عنفًا. فقُتل الأب في لاوعي ابنتِه وتحوَّل إلى ضحيّةِ حرب. أمّا أمّها، فاستطاعت استغلال الوضعيّة لتستلِمَ السلطة وتُسيطر على أولادها لإزاحة الأب الغائب وتبقى أسيرة هذه الوضعيّة، فتماهت «نور» مع والدتها (القضيبيّة)، لتتحدّاها وتتبعها في النِّزاع ما بين الرغبة في الاتِّحاد والحاجة إلى التحرُّر.

هذه الصلة التي سَجنت «نور» في رغبات الأمّ، جعلتْها لا تُفارِق رحَمَها ـ فهي الأم القاسية أو الغائبة بحسب A. Green[11] ففقدت على أثرها رغباتها الذاتيّة وتوجَّهت إلى تمنّي الموت لنفسها والشعور بالذنب تجاه والديْها الضحايا.

إنّ تماهي «نور» مع والدتها وإناث العائلة، جَعَلَها تفقد الذكور في رَحَمِها. أجهضتْهم، تمرّدت على رَحَمِها، رمَت القضيبَ مرَّتَيْن خارج جسدها لتلعبَ دَور المُحارِب مِن دون أن تُحارب. هنّ الإناث بمواصفات الذكور، يرغبنَ هواميًّا في القذف ولكنْ أيضًا الإجهاض؛ هنَّ الإناث اللّواتي انتزعنَ قوّة الذكر من الحرب، من حرب البقاء وحرب الإلغاء.

الحالة رقم (2): من الأجداد إلى الأحفاد: لم تَضع الحرب أوزارها[12]

«ياسمين» طفلة لم تبلغ الثالثة من عمرها بعد، وحيدة لوالدَيها الجامعيَّين، العامِلَيْن في قطاع المصارف. هي الحفيدة لجدَّيْن (لأمّها) يتعالجان حتّى الآن من آثار الحرب اللّبنانيّة التي خسَّرتهما مُمتلكاتهما وأصدقاءهما. عاش والدها يتيمًا منذ صغره بعدما فقد والدَيْه في الحرب.

- **طلب الاستشارة وشروط الجلسات**

طلبتِ الأمُّ العلاج لطفلتها عندما بدأت برفض دخول الحمّام وأصبحت تحتفظ بالبراز في الحفاض وترفض خلعَه.

استغربت «ياسمين» الوضعيّة في البداية ومن بعدها انتظمت علاجيًّا؛ كما توصّل الأهل في النهاية إلى القبول نظرًا لحاجتهم إلى المتابعة العلاجيّة، وإلى كيفيّة التعامُل مع الطفلة والتعرُّف إلى مشكلاتهم.

وخلال الجلسات اختارت الطفلة الألعاب التالية:

1 ـ المعجون الأسود، حاولتْ رميه ولصْقه على الحائط. وكأنَّها تُحاول رمي السواد لتُلصقه بمكانٍ بعيد عن مكانها.

(11) André Green مرجع سابق.

(12) حالة من تقديم المُعالِجة النفسيّة السيّدة «سعاد علم الدّين».

2 ـ الحيوانات، إذ خبّأتها ما عدا القرد، حيث أخذت تُنظِّف مؤخَّرتَه، وقالت: «هيْكْ صار نضيف». وكأنَّه يُمثِّلها، فهي بحاجة إلى مَن يقبلها ويُساعدها للتخلّص والتنظُّف من البراز: فقد كان القردُ هنا وسيطًا اجتماعيّا.

3 ـ وعند استخدام الـ «puzzle» رتَّبتها بسرعة وبدقّة، من الداكن إلى الأفتح، فكان الاهتمام باللّون الأسود في البداية. وكأنّها تُحاول التعبير عن حاجتها إلى تنظيم الألوان الداكنة وترتيبها للتخلُّص منها.

4 ـ وعندما رسمت، مزّقت الورقة بالقلم وحاولت كسره، وعبّرت بالرفض وبالعدوان.

- **تاريخيّة الحالة**

عادت مشاعر القلق والخوف عند جدَّي «ياسمن» ووالدَيْها لحظة ولادتها؛ فهي كيف ستعيش؟ «ما بدّنا تشوف اللّي شفناه».. هي الطفلة الحُلم التي أتت لتُحقِّق ما لم يستطع الأهل تحقيقه، وهي التعويض عن الخسارة: «بوجودها حسّوا أنّهم ربحوا بعد خساراتهم»، هكذا عبّرت الأم عن لسان الجدّة والجدّ.

عاش الوالدان ظروفًا قاسية إبّان الحرب في لبنان التي دامت لسنواتٍ طويلة، فَقَدَ الأبُ خلالها أهلَه وهو لا يزال طفلًا، وعانى أهلُ الأمّ من صدمات الحرب حيث فَقَدَ الوالدان الذاكرة مُوَقَّتًا ولا يزالان حتّى الآن يتعالجان من الاكتئاب بالعقاقير. فحمل الجميع ثقلَ الحرب وآثارها وما خلّفته من حرمان.

هي الحفيدة الوحيدة، تبقى مع جدَّيْها طوال النهار بسبب عمل الوالدّين، وغالبًا ما تبيت معهما، يخافان عليها ويحاولان حمايتها بالاهتمام الزائد، وكأنّها تتربّى برعايتهما.

- **العوارض والأواليّات الدفاعيّة**

تتحكّم «ياسمين» بالعائلة كلّها ـ كما تقول الأمّ ـ تفرض سلطتها وقانونها الخاصّ عبر بكائها. عدوانيّة في سلوكها وتحاول التكسير. تخاف التركَ ويُقلقها الهَجْر. يُسيطر عليها حبُّ التملّك، وامتلاك الأشياء «إذا ما أخدت الغراض اللّي مع غيرها بتعمل crise، ما

حدا بيقدر يهدّيها وبالآخر منمشي معها تتروق». فلا تحبّ التواصل مع الآخرين وكأنّها في كلّ هذا تتماهى بالجدَّيْن المُكتئِبيْن.

- **التَّحليل**

هي الطفلة الأولى والوحيدة للعائلة، وُلدت من رَحَم الحرب، ولم تتمكّن من تكوين الذات الفرديّة والذات الاجتماعيّة. حملتِ الإرث العائليّ الاكتِئابيّ، الناتج عن كلّ ما خلّفته الحرب وتركت آثارها فيه. تشعر بالاضطهاد وعدم الثقة بنفسها ولا تستطيع التواصُل مع الآخرين؛ فاقدة للأمان والحماية، تُخبئ حاجاتها وألعابها خوفًا من فقدانها ليبقى إحساسها بالقدرة على التملُّك. لذلك ينتابها الإحباط إذا لم تُنفَّذ متطلّباتها. كما نُلاحِظ أنّ مآزمها ظهرت في المرحلة الشرجيّة (من خلال التبرُّز والاحتفاظ به) لتُحافِظَ على القدرة الفائقة، لكونها لا تزال غير قادرة على التعبير بالكلام، وعمّا تريده من الأهل والعائلة بشكلٍ عامّ.

لقد امتصَّت «ياسمين» الحالة الاكتِئابيّة من الجدَّيْن اللّذَين عاصرا الحربَ في لبنان لسنين طويلة، وهي تمكث معظم الوقت عندهما، من هنا كان ارتهانها لهذا «الموروث العابر للأجيال»، الموروث الذي لا تفهم عنه شيئًا؛ إلّا أنّها تتصرَّف من خلاله بعدوانيّة لتخفيف هذا القلق والوجع عن نفسها، وعبر التسلُّط وفرْضِ قوانينها لتعويض دَور جدّتها الضائع التي لم تستطع أن تكون أمًّا جيِّدة كفاية لابنتها (أمّها)، وتعويض دَور الجدّة (لوالدها) المتوفّاة، وتعويض دَور جدَّيْها، الأوّل المتوفّي فعليًّا والثاني المتوفّي هواميًّا... لعلّها تستطيع استعادة أدوار العائلة الضائعة، والحفاظ على ما تبقّى منها.

فهل استطاع الأهلُ معرفة ما يجول بداخل الطفلة من صراعاتٍ وحروبٍ مُستنزِفة، على الرّغم من عدم معرفتها بهذه الصراعات والحروب أو معايشتها لها؟ هل استطاعوا الانتباه إلى أنّها فتاة تتربّى في عائلة متوفّاة هواميًّا؟ هل يستطيعون معرفة ما تراه الفتاة في وضعيّة العائلة التي عانت الحرب ولا تزال في حربٍ داخليّة تغلغلت فيها؟ فعلى الرّغم من محاولة الأهل استبعاد موضوع الحرب وآثارها، إلّا أنّ استبعاد الحرب جَعَلَ «ياسمين» بحَيْرَةٍ مع نفسها ومع طفولتها، وباستبعادٍ لدَور أهلها، وبتجوالٍ مع حياة أجدادها.

الحالة رقم (3): بين الحرب والانفجار: العلاقة مع الموضوع[13]

- **تقديم الحالة**

«ميليسّا»، شابّة في الثامنة عشرة من عمرها لكنّ ذكرياتها عالقة في المرحلة العمريّة 5 ـ 11 سنة. هي في الصفّ الثانويّ الثالث، من مستوىً اجتماعيّ اقتصاديّ جيِّد، يعمل الوالد في قَطَر والأمّ ربّة منزل. هي ابنة الأمّ التي عانت الرعب اليوميّ في الحرب، من إحباطٍ وقلقٍ لأكثر من 16 سنة، وجسَّدت بأوجاعها الوجهَ السلبيّ لنتاج هذه الحرب، التي أسهمت في تشكيل شخصيّةٍ مكتئِبة إثر تعرُّضها لكثير من الصدمات، فأَسقطت الأمّ بذلك عدائيّتها ووجعها النفسيّ على ابنتها الوحيدة، كما أدمنتِ الكحول.

- **شروط وإجراءات الجلسات**

طلبتِ الاستشارة للأسباب التالية:

ـ خوف مرتبط بهلع الحرب: «انفجار مرفأ بيروت جَعَلَني أشعر بقلقٍ قاتل، وخوفٍ رهيب».

ـ الرغبة في اكتشاف الذات: «... إنّ حياتي وعلاقاتي معقَّدة جدًّا، وغالبًا ما تكون غريبة».

ـ مشاعر متناقضة: «... عندي مشاعر متناقضة تجاه أمّي، أحبّها وأكرهها في وقت واحد/تارةً أكون إنسانةً مجنونة أعشق الموت، وتارةً أخرى أعشق الحياة والفرح والغناء».

- **الجلسات وإطارها**

لا تزال «ميليسا» قيد العلاج، واكتفينا بذكر الجلسات الأربع كنموذجٍ تفاعليّ معها، نظرًا لأهميّتها.

ـ الجلسة الأولى: رفضت الكلام وطلبت ورقةً وقلمًا، أسقطت عليها وجعها واختصرت من خلالها الأحداث التي مرّت في حياتها حيث سيطر على الجلسة الصمتُ التامّ والدموع التي عبَّرت من خلالها عن وجعها.

(13) حالة من تقديم المُعالِجة النفسيّة السيّدة «لينا نحّاس».

ـ الجلسة الثانية: كانت تحليلًا للرسومات وربطها بالأحداث السابقة من الطفولة وحتّى الآن، حيث أشار التحليل إلى وجود معاناة ترْك الأمّ لها، ما جعلَ منها شخصيّة حسّاسة، قلِقة ومزاجيّة.

ـ الجلسة الثالثة: كانت استعادةً للذكريات وأهمّها: مَنظر الجرحى والقتلى في مرفأ بيروت، ذكرى أمّها المريضة التي تعرَّضت لاكتِئابٍ شديد بسبب صدمات الحرب.

ـ الجلسة الرّابعة: كانت تحليلًا لما كَتبته في يوميّاتها من مشاعر. لقد أتت ومعها ورقة دوّنت عليها حوارًا تخيَّلته بينها وبين والدتها، وكان متمحورًا حول عجزها عن تحقيق رغبة أمّها بانتمائها السياسيّ، وعَتَبِها عليها لإدمانها الكحول، وشعورها بالذنب لأنّها لا ترضي والدتها.

- **تاريخيّة الحالة**

أَيقظ انفجارُ مرفأ بيروت الذي حدث بتاريخ 4 آب/أغسطس 2020، صدماتٍ عديدة عانت منها «ميليسّا» منذ عمر 5 سنوات وحتّى الوقت الحالي، ومن هذه الأحداث نذكر:

ـ مَرَض الوالدة: «ابتدأت مأساتي بعمر الخمس سنوات عندما تخلَّت أمّي عنّي بسبب مرضها وتناولِها الأدوية التي جعلتها غائبة عن الحياة. عند عودتي من المدرسة تكون نائمة أو عند الطبيب أو في المشفى».

ـ غياب الأب: «عندما بلغتُ 7 سنوات، لم يتمكّن والدي من قضاء وقتٍ مُمتعٍ معي ولم يقُم بوظيفته كأب، بسبب عمله ورحلاته الدائمة. غالبًا لم تكُن علاقتي به جيِّدة، وهي محصورة بالماديّات».

ـ خلافات الوالدّين: «قبل أن أبلغ التاسعة من عمري، كان والِداي مُنفصلَيْن في المنزل ولا تجمعهما سوى العلاقة الماديّة وتبادُل تُهم التقصير والإهمال والغياب. فعلى الرّغم من كوني الطفلة المدلَّلة، كنتُ حزينة وعصبيّة، وهاجسي الانتقام من مرض أمّي، واستهتار والدي».

ـ مأزم في الدّيناميّة العلائقيّة مع الأمّ: «بعمر 11 سنة انتقلتُ مع أمّي إلى العيش في لبنان، وأبي لا يزال في قطر. أَدمنتْ أمّي، فعشتُ العدائيّة تجاهها، ما جَعلني أترك المنزل

وأنام عند رفيقاتي من دون علمها، أدخِّن السجاير، أكذب.... وفيما أنا أكبر ازداد هذا الشعور حين عجزتُ عن تحقيق رغبة أمّي بانتمائي للجهة السياسيّة التي تؤيِّدها، أكرهها وأكره هَوسَها بالسياسة التي دمّرتها».

- **العوارض والأواليّات الدفاعيّة**

تُعاني «ميليسّا» من تغيُّراتٍ مزاجيّة، وغضبٍ، وصراخ، وبكاء، وعناد، ومُعارَضة، ويأس من الحياة (وجود أفكار انتحاريّة)، كما تُعاني من تعبٍ ومن فقدان الحيويّة في أغلب الأحيان، وفقدان الشهيّة، والتأنيب الذاتيّ، والخوف من أن تصبح مكتئِبة كوالدتها، فضلاً عن اضطرابٍ في النوم، وفشلٍ دراسيّ، وإدمان على السجائر...

- **التحليل**

تُشير الحالة، إلى ارتباطٍ وثيقٍ بعُصاب الحرب، وتأثيره على نموّ الطفل، الذي يُمهِّد الطريق لحالةٍ نفسيّة هشَّة.

لقد خزّنت «ميليسّا» في نفسها أشياءً كثيرة من طفولتها، والآن انفجر الموقف معها في أثناء انفجار مرفأ بيروت، عبر استذكار الماضي الذي جَعَلَها تشعر بأزمة افتقاد الأمان الداخليّ المُرتبط بمرض والدتها منذ صغرها، والذي كان له التأثير المباشر على النموّ العلائقيّ الطبيعيّ بينهما. وهذا ما عَرقل اهتمامَ أمّها بها وأَبعدها عنها لتتعطّل عمليّة الإشباع العاطفيّ.

وهكذا عادت الصدمة الهلعيّة في مجال المركّب الأموميّ، الذي ينتظر الحادث المفجِّر المباشر، والذي يؤدّي إلى بناء العارض على قاعدة اضطراب العلاقة مع الأمّ التي تُعاش كفطامٍ مبكر.

لقد استعادت «ميليسّا» حالةَ الهلع والقلق خوفًا من تكرار مسلسل الحرب والتفجيرات من جديد؛ وهذا ما تمّ نقله عبر الأمّ من مشاهد وأحداث عاصَرَتْها وأوصَلَتْها إلى حالة الاكتِئاب، والإدمان. فكانت لابنتها القدوة والغائبة؛ وهذا ما أَجَّجَ الصراعَ بينهما، ونمّى التباعُد في أثناء مراحل عمرها.

إنّ فقدانها للحبّ الذي ترافق مع صورة الأمّ الضائعة وشعورها بالفراغ العاطفيّ le vide affectif، وغياب التعلُّق الآمِن، وصور طفولتها المصاحبة للصراعات

العائليّة..هذه الأمور كلّها قادتها في ما بعد إلى الضياع والمزاجيّة من خلال نظرتها التشاؤميّة ومشاعر الدونيّة وعدم التقدير لنفسها. وقد عزّزَ هذا كلّه لديها مشاعر الغيرة والانتقام والكراهيّة لوالدتها، وما يستتبع ذلك من اضطرابٍ وتوتُّرٍ على الصعيد العلائقيّ.

كما استعادت رغبة الأمّ واسقاطاتها السياسيّة، التي شكلّت لديها عاملًا مساعدًا في تشكيل اللّاتكيُّف والشعور بالإحباط واللّاانتماء، وظهرت المشكلة حين عجزتِ الابنة عن تحقيق رغبات الأمّ وطموحاتها في الانتماء، فشعرت بعدم القدرة على المُواجَهة لتتشكَّل عندها مشاعر الذنب، والقلق، ولتتماهى بسلوك والدتها الانحرافيّ. كما لعبَ غياب سلطة الأب ودَوره على تعزيز هذا السلوك.

وهذا دليل على أنّ اضطراب العلاقة بالأمّ أَسهم في بناء شخصيّة (بنية الأنا) مَشعورة ما بين التأنيب والهجوم والاهتياج، فيكون المؤنِّب هو نفسه المُهتاج: أنا «حزينة ومهتاجة وجشعة» حيث الأنا الهزليّة والمتداعية بحسب د.عبّاس مكّي في «متاهات النَّفس وضوابط علاجها»[14].

الحالة رقم (4): انتقال صدمة الحرب والمآزم وتكرارها عبر الأجيال[15]

- **تقديم الحالة**

تبلغ «ليا» من العمر 11 عامًا، تعيش بعد طلاق والدَيْها مع أمّها وأختها التي تكبرها بثلاث سنوات وجدَّيها لأمّها. عانت الأمّ بسبب ظروف الحرب وفقدتِ الكثير من أحلامها وطموحاتها ومنها إكمال تعلّمها. أمّا الأب فغائب عنهم. وعلى الرّغم مِن المستوى الاجتماعيّ الميسور، ترى «ليا» أنّها أقلُّ من غيرها. وعلى الرّغم من وصولها إلى المرحلة المدرسيّة المتوسِّطة فهي ترفض العِلم.

(14) عبّاس محمود مكّي، **متاهات النفس وضوابط علاجها** (بيروت: مجد المؤسّسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع، 2013)، ص 467.

(15) حالة من تقديم المُعالِجة النفسيّة السيّدة «إيليان نحّات».

- **ظروف الجلسات وشروط العمل**

ـ طلب الاستشارة

تمّ طلب الاستشارة من الوالدة بسبب معاناة «ليا» من أزماتٍ ضيقٍ في التنفّس، تصل إلى عدم القدرة على التنفّس، وخصوصًا في فترة الامتحانات. كما تذهب إلى تصرّفات عدوانيّة، ولاسيّما في العلاقة مع الأخت والأمّ؛ فهي تطلب وتعبِّر عن الحاجة إلى مَنْ يسمعها ويتحاور معها ويفهمها، وهذا ما لم تستطع الحصول عليه ضمن الجوّ العائليّ الذي تعيش فيه، كما تُعبِّر عن خوفها من تخلّي العائلة عنها بشكلٍ عامّ. هذا فضلاً عن التأخُّر الدراسيّ الذي تعاني منه مؤخَّرًا ممّا يجعلها تحت ضغط التأنيب الدائم.

ـ التقنيّات المُستخدَمة

تابعت «ليا» جلساتها بشكلٍ مستمرٍّ واستطاعت التكلّم على وضعها ومشكلاتها ومآزمها. جرى العمل على استرجاع التاريخ العائليّ من خلال صُورها وسرْد القصص وتنظيمها، إلّا أنّها لم تستطع الرسم وبدأت بردّاتِ فعلٍ سلبيّة.

ـ وصف حالة النقلة وتموضُع المُعالج

أَبدت الفتاة ردّات أفعال عنفيّة (كلاميّة وسلوكيّة) على المُعالِجة وكأنّها استبدلتها بالأمّ والأخت، وكأنّها استبدلت مفهوم الحرب بحربٍ أخرى على مَن يقبلها ومَن لا يقبلها. فدخلتْ بالمزاجيّة بين قبول العلاج ورفْضه ـ بين النقلة الإيجابيّة والسلبيّة ـ فكانت حينًا تُظهِر التجاوبَ والقبولَ والقدرةَ على التعبير، وحينًا آخر تُظهِر العدوانَ والرفضَ في الكلام والتخلّف عن المواعيد بسبب المرض أو النسيان. وكانت المُعالِجة تدعم السلوكيّات الإيجابيّة وتعمل على تخفيف حدّة السلوكيّات السلبيّة، من خلال إبداء التفهُّم وفرْضِ قانون العلاج.

- **تاريخيّة الحالة**

وُلدت «ليا» من أمٍّ اكتِئابيّة، وبَقيت في الحاضنة لفترةٍ ليست بقليلة بسبب ظروف الولادة الصعبة، فتعرّفت إلى الحياة من خلال الحاضنة. هي الصغرى التي وُلدت من رَحِم أحزانٍ وخلافاتٍ عائليّة، ولكنْ على الرّغم مِن ذلك يُمنع إظهار الحزن والشعور به في العائلة.

وظَهرت علاقة الفتاة مع العائلة على الشكل التالي:

• العلاقة مع الأمّ: أمّ ضعيفة لا تستطيع فرْضَ قوانينها ولا إظهار الحبّ والحنان ولا تقديم العاطفة، إلّا أنّ علاقة الفتاة بأمّها هي علاقة ذوبانيّة لدرجة عدم القدرة عن التخلّي عنها أو مُفارقتها.

• العلاقة مع الأب: أبٌ غائبٌ لا تواصل بينهما.

• العلاقة مع الجدّ: يتبادلان الأفكار والأحاديث إلّا أنّها تقول: «جِدّي مش جَدِّي» لإظهار عدم جديّته وهزله في الحوار معها، وكأنّ الحوار في الأساس ليس حوارًا، والتفاهُم ليس تفاهمًا.

• العلاقة مع الجدّة: هي المُتعاونة والمتفهّمة والمُساعِدة والحاضنة ولكنْ مِن دون عاطفة، ولم تستطع تعويض الحنان المفقود من الوالدة التي لم تحصل على الحنان بدورها بسبب الحرب.

• العلاقة مع الأخت: أختها الكبرى حصلتْ على ما لم تحصل عليه من الأبوَين كما تقول: «عَطْيوها اللّي ما عطيوني هوي»، يُسيطر النِّزاع والغيرة على المواقف التي تجمعهما معًا، وبخاصّة المواقف التي يكون باطنها ما له علاقة بالأمّ.

• العلاقة مع الأصدقاء: من الصعب التعرُّف إلى الأصدقاء، وهي تقريبًا لم تكوِّن صداقات مع الآخرين ذكورًا كانوا أم إناثًا.

• **العوارض والأواليّات الدفاعيّة**

من خلال ما تقدّم نُلاحِظ أنّ «ليا» تُعاني اضطراباتٍ عديدة كصعوبةٍ في التنفُّس والتعبير، والعدوانيّة تجاه الآخر. لذا تشعر بالوحدة والمزاجيّة والقلق وصعوبة في النوم. هذا إضافةً إلى الوسواس الذي يظهر في الأفكار والنظافة، ما يجعلها تعيش مُعاناة مع نفسها ومع الآخرين. ومن هنا فهي تستخدم الأواليّات الدفاعيّة كالتماهي بالأمّ المتوفّاة هواميًّا والنكوص لتعود الطفلة المدلَّلة.

• **التحليل**

يسمح ما تقدّم لنا بالتكلُّم على الصدمات في محتوى التصوُّرات العائليّة وعلى انتقال الصدمات والمآزم الأموميّة إلى الأولاد وبخاصّة في غياب الأب.

فبسبب ظروف الحرب ووضعيّة التهجير، نقلتِ الأمُّ هذا الحدث الصادم الذي شهدته قبل ولادة ابنتها وأثره إلى رضيعتها التي بقيت في الحاضنة عند الولادة، وكأنّها لا تريد أن تَلِدَها لتبقى محميَّة في رحمها. فتظهر «ليا» كطفلة لم تولَد بعد، أي أنّها لم تنفصل عن أمّها (حالة التبعيّة ـ السلبيّة)، أي لا زالت تعيش في رَحَمِ أمّها وتخضع للموروث الأموميّ، ولم يُؤَدِّ الأبُ دورَ الفاصل.

وبذلك نقلتِ الأمُّ حالتها العاطفيّة، أي الكآبة (نزوة الموت) المرتبطة بماضيها الصادم وعدم قدرتها على التفاعُل مع طفلتها، إلى الطفلة؛ فأصبحت الأخيرة عدوانيّة تُظهِر عدوانيّتها هذه كلّما شعرت بقلق التخلّي عنها، وتختلّ قدرتها على التواصُل مع العائلة. من هنا تحتاج «ليا» إلى إعادة بناء صورة الأمّ للتوقُّف عن بكاء بطنها الذي فقدته في الحرب.

إضافةً إلى ذلك، نُلاحِظ أنّ العائلة تسعى باستمرار لتخْبئة الصدمات (الولادة والحرب والطلاق) لكي تعيش سعيدة. لقد نقلتِ الأمُّ ووالدَاها خشيةَ أثر الصدمة إلى الابنة واعتادوا على تخْبئة هذا السرّ، ولاسيّما على صعيد العواطف والمشاعر. فتشعر الفتاة بأنّها تحت ضغوطٍ لتلبية طلبات العائلة، في ما يتعلّق بنرجسيّة الوالدَين التي تربطها بالحرب.

ولكنْ على الرّغم من ذلك، ما زالت الفتاة تبحث في المُقال واللّامُقال لاكتشاف التاريخ العائليّ (اللّامُقال) والحبّ بغية كسْرِ الجمودِ العاطفيّ، وكشفِ حقيقةِ الطلاق، وفَشَلِ الأمّ في الدراسة، والذكريات المرتبطة بالحرب، ما يجعلها بين تجوال الأفكار الحائرة. كما نُلاحِظ أنّ «اللّامُقال» Non-dit هو سيّد الموقف لإيصال الرسالة الصادمة التي من المُمكِن أن تكون مخفيَّة وتَظهر من خلال الأفكار المُثبتة والمتكرّرة عندها.

غالبًا ما تشعر «ليا» بأنّها لا تُرضي رغبة الأمّ؛ فالرغبة في رغبة الآخر؛ فتعيش الارتهان لها (تكرار الصدمة). تعيش الفتاة صراعًا بين الخوف من الخطر (الحرب) وواجب الطاعة للأهل الذين عانوا الحرب وفقدان الثقة بالنَّفس، وهنا تعود بالزمن إلى طلب الحماية الطفوليّة والأمومة السلبيّة.

كلُّ ذلك يجعل الحالة المدروسة تعيش في هواماتها (وضعيّة الخضوع لآخرٍ من العائلة). فبعض الأعراض التي تأخذ أشكالًا وهميّة، تُضيِّع الإطار المُرتبط بالهويَّة.

الحالة رقم (5): زنا المحارم وعودة المكبوت في زمن الحروب[16]

- **تقديم الحالة**

«آية» في العشرين من عمرها تَستذكر طفولةً قاسية. هي طالبة في العلوم التربويّة. تعيش في أسرة محافظة، من أبٍ قياديّ عسكريّ حزبيّ، يغيب كثيرًا عن أسرته، وأم ربّة منزل تتحمّل عبء غياب زوجها وتقوم بدَوره في البيت وتهتمّ بالأولاد.

طلبت «آية» الاستشارة النفسيّة لمُعاناتها من صدماتٍ عاطفيّة وشعورها بازدواجيّة المشاعر. جالت بين شابَّيْن، هادي زميلها في الجامعة وشادي ابن خالتها الذي أحبّته منذ نعومة أظفارها.

- **تاريخيّة الحالة**

تتذكّر «آية» غياب والدها وانتظارها له بفارغ الصبر لترى حذاءه العسكريّ وتشعر بالأمان وتنام: «آخر فترة صرت حِسّ بعدم الأمان لأنّو بابا بعيد عنّي وصرت عصِّب كتير»، «لمّا يشوفني زعلانة بيعبطني، برتاح، أنا بحاجة دائماً إلى العناق الدافئ والحنان، والتماسّ الجسديّ». «بيّي كان بارّاً بأهله، أمّي كمان». كانت الأمّ متعلِّقة بأهلها إلى أبعد الحدود «ما بعرف أمّي لحالها، صورتها عندي دايمًا مع عَيلتها». وكانت الأمُّ تترك «آية» عند خالتها وتذهب لإكمال دراستها أو لمُمارسة شعائرها الدّينيّة. توفِّيت الخالة باكرًا ولم تستطعْ الفتاة التعبير عن حزنها. وعبّرت عن رفضها مُمارسة الشعائر الدّينيّة «أنا لا أرفض الحجاب لكنْ مش راضية عن الشعائر الدّينيّة، بِدور براسي ميِّة سؤال حول فكرة الله والخلق، أشعر بأنّي مكبوتة».

تتذكّر «آية» حرب تمّوز/يوليو 2006، كان عمرها عشر سنوات. حينها عاشت مُعاناة التهجير والتجوال الموجِعة والموحِشة. تحمّلت النساءُ المسؤوليّات بغياب الرجال، من تأمين الخُبز ونقْل المياه والاهتمام بالأطفال... فالابتعاد عن الأرض والابتعاد عن الأب، وفكرة وجود الرجال في أرض المعركة.. كلّ ذلك جَعَلَ «آية» تشعر بانعدام الأمان. «كانو النسوان يْقولو يا منعيش كلّنا سوا يا منموت كلّنا سوا، نحنا كولاد كنّا نخاف لمّا نسمع الطيران والقصف، نتخبّى وبسّ يهدى الوضع نرجع نلعب سوا». لقد سَكَنَ الكثير من

(16) حالة من تقديم المُعالِجة النفسيّة السيّدة «رندا البرّاج».

أفراد العائلة في شقّةٍ واحدة، قُسِّمَت الغُرف «بالشراشف»، استحمَّ الأطفالُ مع بعضهم «وكنّا ننام حدّ بعض». هذا التجمُّع العائليّ دَعَمَ «آية» على تخطّي مصاعب الحرب إلّا أنّه عرَّضها للتحرُّش من قِبَلِ ابنَي خالتَيْها الكبرى والصغرى، وكلّ ذلك باسم الحبّ.

- **العوارض والأواليّات الدفاعيّة**

نُلاحِظ أنّ «آية» تُعاني من ازدواجيّةٍ في المشاعر بين الحبّ والجنس. فهي تشعر بتدنّي قيمتها الذاتيّة، وبالانطوائيّة والعجز وعدم القدرة على حماية الذات، فضلاً عن شعورها بالنقص والعجز والذنب، ومَشاعر الكبت.

- **التحليل**

حاولَت «آية» مُكافَحة الاغتراب الذي شَعرت به بسبب الحرب القاسية التي تُشبه قساوة ترْك أمّها لها عند الخالة، وغربة أبيها للتواجُد في أرض المعركة، إلّا أنّها وجدتْ نفسَها ضحيّة التحرُّش الجنسيّ من قِبَلِ أبناء خالاتها. لقد غابت السلطة الأبويّة عن الأماكن التي احتضنتهم في الحرب، وتحوّلت السلطة الأموميّة إلى انحرافٍ في قانون الأب، ما سمحَ بالتقارُب والتماسّ بين أبناء عائلة الأمّ. لم يستطع القانون السائد حماية الفتاة في غربتها فغرقت في مشاعر الاغتراب. وعندما حاولت الهروب من هذه المشاعر وفكّ الارتباط بهذا القانون، لم تستطع سوى التثبّت على موضوع اللّذة وتوجَّهت إلى النزوة التدميريّة.

لذا لم يكُن الحجاب حاجزًا في وجه غرائزها الجنسيّة بل كان غطاءً وحمايةً لِلذّةٍ مكبوتة واعترافًا وقبولًا من بيئتها. بينما في مُمارسة الشعائر الدّينيّة تخاف من الرقيب والمُحاسب على لذّتها لتغرق في مشاعر الذنب والخجل.

حَلَّ الصِبية بدائل عن اللَّذة تجاه الأب الغائب. إضافةً إلى أنّ «الخالة المحبوبة» كانت بديلة أمّها وكانت بديلاً لأمّهات الصبيَّين المتحرِّشَيْن. لقد ظهرت الرغبة الجنسيّة عند هؤلاء الصبية المتحرِّشين في لمس الأمّ والخالة، وهي الرغبة المكبوتة في الطفولة بسبب الحظر الاجتماعيّ والدّينيّ فتفلّتت مع ابنة الخالة. وهذا ما ذكره فرويد في أنّ لذّة

اللّمس تبقى دائمة ومستمرّة ولاشعوريّة، لأنّ المكبوت لا يموت، والرغبة تنتقل باستمرار لتفلت من الحظر[17].

إنّ أيّ رابط أسريّ يأخذ الشكل الثلاثيّ، الأبّ والأمّ والطفل، هو في عائلات سفاح المحارم رابطٌ يُستبعد فيه الطرف الثالث (الأب) أو يَستبعد هو نفسَه. وبحسبِ «Perrone وNannini»، فإنّ الأمّهات في علاقة سفاح القربى: لا يرونَ، لا يسمعنَ، يُنكِرنَ الأدلَّة، حتّى لو كانت حقيقة[18].

الحالة رقم (6): ضاعت الرغبة: فالتهمتْ لحمَها لكي يعود السلام[19]

«ليلى» في السادسة من عمرها، يعمل والدها في بلدٍ عربيّ منذ أكثر من ثلاث سنوات بسبب الحروب التي مرّت على لبنان والوضع الاقتصاديّ المتردّي، وتعمل أمّها بدوامَيْن في مجال المحاسبة. هي الصغرى لأخت تكبرها بسنة ونصف وتوأم لفتاة تكبرها بدقائق. لا تُفرِّق الأمّ بين «ليلى» وأختها التوأم، فهما تشبهان بعضهما كثيرًا وتشبهان الأمّ. تسلّمت الأمّ زمام الأمور بسبب غياب الوالد، وهي ذات مستوىً تعليميّ واقتصاديّ واجتماعيّ جيّد، إلّا أنّ الوضع العائليّ يسوده الضياع في الأدوار.

• طلَبُ الاستشارة والتقنيّات

طَلبت الأمّ المشورة عندما بدأت «ليلى» بقضم أطراف يدها، وبدا العظم تحت اللّحم وانعدمَ الشعور بالأطراف. هذا فضلاً عن قضمها الكراسي الخشبيّة ونقْرها بأسنانها. يحصل ذلك كلّه مِن دون القدرة على التحكّم بالفعل أو بتوقيته، لذا ثمّة حاجة إلى شخصٍ يُنبِّهها لما تفعل.

خلال الجلسات تمّ استخدام التقنيّات التالية:

1 ـ لعبة التركيب: وهي لعبة تعتمد على تركيب القطع بعضُها بجانب بعضِها الآخر حتّى يتمّ إنجازُ الصورة المُرفقة باللّعبة. إلّا أنّ الفتاة وَجدت صعوبةً في تمييز القطع وترتيبها بحسب الصورة.

(17) Sigmund Freud, *Les théories sexuelles infantiles dans La vie sexuelle* (Paris: P.U.F., 1908).

(18) Raynaldo Perrone, Martine Nannini, *Violence et abus sexuels dans la famille* (Paris: ESF; 5e édition, 2012).

(19) حالة من تقديم المُعالِجة النفسيّة السيّدة «سعاد علم الدّين».

2 ـ puzzle: لم تستطع تركيب أيّ قطعة من اللّعبة، أو التفكير بالمُحاولة.

3 ـ المعجون: لم تَستطع الاستمرارَ طويلًا في لمْسِه وعبّرت عن أنّها لا تشعر به.

4 ـ اللّمس: أظهرت التقنيّة أنّ حاسّة اللّمس مفقودة لدى الفتاة، إذ استطاعت تمييز القماش الخشن لا النّاعم.

5 ـ الحيوانات: جَمعتِ الحيوانات على شكل أُسَرٍ (الأسد ـ اللّبوة) وأَخذتِ الأسدَ لتلعبَ معه.

6 ـ الرسم: رَسَمَتِ القلوبَ والورودَ والحمامةَ وغصنَ الزيتون، وكانت تُعبِّر عن سعادتها.

7 ـ أكمل الجملة: أحبّ...، أحبّ هديّة...، أحبّ اللّعِبَ مع...، أحبّ النزهة مع...، أحبّ الأكلَ مع...؛ أكملت «ليلى» كلّ الجمل بـ «**بابا**».

- **وصف حالة النقلة وتموضُع المُعالِج**

بعد الصمت استجابت «ليلى» وعبّرت عن وجَعِها من خلال التقنيّات. عبّرت عن علاقتها بأخواتها وعن حاجتها إلى الأمّ والأب الغائبيْن وعن الحرب التي أبعدتهما. فرَسمتْ ما رسمتْ عن السلام والسعادة بفرح، وعبّرت عبر اللّمس والمعجون عن فقدانها الحبّ والطمأنينة، وعبّرت من خلال الحيوانات عن العائلة والسعي لإيجادها.

- **تاريخيّة الحالة**

وُلدت «ليلى» من رَحِم أمٍّ حاقدة على المُجتمع «الصعب»، غاضبة من الحروب اللّبنانيّة وما خلّفته وراءها من أوضاعٍ اقتصاديّة (خسارتها لمُمتلكاتها) واجتماعيّة (تشتُّت عائلتها في أرجاء الوطن العربيّ) ونفسيّة(وما أكثرها). عاشت سنينها تُحارب الحربَ بعِلمها وعَملها، وهي الرافضة حقيقة أنّها فتاة وأنّها لم تُنجب سوى الفتيات.

الفتاة هنا (ليلى) هي الابنة الصغرى (حتّى على صعيد توأمها)، وهي آخر محاولة للأمّ لإنجاب الصبيّ. «ما إجت بوقتها، ما كنّا ناطرينها وبنت!»، «ولادتها كانت صعبة، إجت واضطرّ بيّا يسافر، صاروا كتار علينا» قالت الأمّ.

هربتِ الأمّ للعمل بدوامَين، وسافرَ الأب للبحث عن حياة كريمة، وسافرتِ الفتاة مع حبّها وتعلّقها. هو الذي فرح لولادتها ووَعَدَ بالاهتمام بها، وهو الذي اضطرّ لترك العائلة

«لحمايتها». أبعدته الحرب وشتّت أركان العائلة، ومضت ثلاث سنوات ولم يرَ بناته سوى عبر الفيديو و«ليلى» تنتظر وعد الأب، تنتظر رجوعه، تنتظر مَن يُحبّها ويحميها، فتبحث عن رغبتها الغائبة «هيدي الحرب بَيْعدتني عنه بس حيرجع أنا بعرف».

- **العوارض والأواليّات الدفاعيّة**

تشعر الفتاة بالدونيّة، والقلق، والرفض، والاستبعاد. تخاف التواصل مع الآخرين، كلّما تكلّمت تقطّعت أنفاسُها لتجمعها من جديد وتُكمل حديثها.

تتماهى مع أمّها وتُبرِّر خياراتِها بأنّها تُشبهها بالشكل، فكيف لا تُشبهها بالتصرُّفات وعدم القدرة على التعبير؟ «أنا ما بركِّز منيح متل ماما».

- **التحليل**

وُلدت «ليلى» وكأنّها ولدت بحرب وجوديّة. رفضتها الأمّ وكأنّها عدوّتها ويجب الدفاع عن نفسها بتهميشها، وكأنَّها هي الحرب نفسها، وهي التي تسبَّبت بها ويجب محاربتها للعودة إلى السلام. هي الحرب التي أبعدت الأب عن عائلته، وشتّتت أفرادَها. «ما كان ناقصنا بنات»، طارئة على العائلة، وزائدة في توأمتها. الأمّ في ضياع لعدم قدرتها على التعرُّف إلى ابنتها، كيف لا وهي الأمّ الرافضة تاريخها ونفسها فكيف تقبل بشبيهتها؟

تحبّ الفتاةُ والدَها بكلّ تفاصيله، شكله، لِعَبِه، هداياه، قوّته، حمايته وقبوله... هو محور حياتها، والحرب أبعدته عنها. هرب من الحرب وتركها تُحارِب وحدها، تهرب من أفكارها. أدّى حرمانُها وضعفُها إلى قضم أصابعها للسيطرة على ما يجول داخلها لتفريغ عدوانيّتها تجاه الأنثى (الأمّ والأخوات) حيث تُحاوِل الحصول على المتعة الغائبة، على الحبّ الضائع مع ضياع موضوع الحبّ.

في سلوكها الـلّاإراديّ والـلّاواعي، تبحث «ليلى» عن التواصُل الذاتي حيث لم تَجِد المجال للتواصل مع المحيط، مع الآخرين. هي بحاجة إلى الحماية والطمأنينة والأمان الذي تفتقده بفقدانها الثقة بالنفس في العائلة ولعدم معرفة موقعها ودَورها في أركان أسرتها. ففي كلّ مرّة تُحاوِل قضمَ أصابعها أو كرسيّها الخشبيّ تُحاوِل التعبيرَ عن مشاعرها الأساسيّة للحياة الطفوليّة: الحبّ، الحنان، الأمان والحماية. تحاول ترك أثرها على جسمها وكرسيّها، مُحارِبةً نفسها بأسنانها القارضة، الناقرة، الحافرة، الآكلة لجلدها

ولحمها ولكرسيّها ومكانتها، كما أكلت الحرب حبّها وحياتها، وسلبت رغبتها وقوّتها، وشرَّدت عواطفها وبعثرت طفولتها، وقتلت أيّامَها.

وكأنّها تُعيدنا إلى القبائل في صحراء أوستراليا الوسطى، الذي تحدّث عنها Géza «Róheim»[20]، حيث تأكل الأمُّ طفلًا من كلِّ طفلَيْن، لتقوى وتأخذ جمالها ورونقها وللحفاظ على البقاء؛ و«ليلى» هنا تُعيد التهام نفسَها كما التهمتْها أمُّها لتستعيد قوّتها وتُدافِع عن رغبتها ومشاعرها المُتضاربة.

ليلى هي ذلك الجنديّ الصغير الذي يُحارب لجمْع العائلة وهو نفسه السبب بتفرقتها؛ هو الذي يُحارب للحصول على حبّه وتعلّقه وهو مَن دفعه لتركه؛ هو الذي يُطيع ويسمع الأوامرَ وهو المُستبعَد من رغباته.

ليلى هي الفتاة التي أَتت مُكرهةً، بصورة توأم مُكرّرة، تجول في عالَم والدَيْها الذي لا تفقهه ولا يفقهها، تُحاوِل التعبير بحَيْرَةٍ عن رفْضها ورغبتها، تبحث بأسنانها عن هويّتها، تلك هي الطفلة العدوّة المجنَّدة.

الحالة رقم (7): طفلة الشارع موصومة بالحرب[21]

• تقديم الحالة

«آمال» طفلة تبلغ من العمر 11 سنة، من أبٍ سوريّ ـ أردنيّ هاجر إلى لبنان بحثًا عن عمل، وأمٍّ عانت من الحرب على لبنان في العام 1982 ونزحت إلى منطقة النبعة. وُجدت الفتاة على الطريق، وتمّ وضعها في مَيتمٍ يُعنى بالأطفال.

• طَلَب الاستشارة وظروف الجلسات

تمّت الجلسات في مركز الدِّراسة التابع للمَيتم، حيث كانت «آمال» تُحاول ابتزاز المُعالِجة والناظرة للحصول على مُعامَلة خاصّة. كانت تحبُّ التميُّز وأن يكون موعدُها هي هو الأوّلَ، وذلك للحصول على مكالمة هاتفيّة مع أهلها خارج الدوام. كما كانت

(20) Géza Roheim, «Myth and folk-tale». *American Imago 2*, no. 3 (1941): 66-279.

(21) حالة من تقديم المُعالِجة النفسيّة السيّدة «نظيرة باسيل».

وفي أثناء كلّ جلسة، تصرّ على دخول المرحاض لتتكلّم بأمورها الخاصّة وكأنّها تتكلّم مع أمّها.

لقد تمّ العملُ معها من خلال التقنيّات التالية: البسيكودرام، لعبة الدُّمى، اختبار Louisa Düss، الرَّسم، الكتابة، القراءة، واللّعب. ومن خلال هذه التقنيّات استطاعت «آمال» التعبير عن خيانة أمّها لأبيها، وعمّا رأت وسمعت من أمّها أثناء مضاجعتها الرجال الذين كانت تسمّيهم «خُطّابَها»، وعن السوداويّة التي تعيش بها وعن الغَيْرة التي تنتابُها تجاه أبيها.

- **تاريخيّة الحالة**

وُلدت «آمال» من أمٍّ وأبٍ عاصرا الحرب وتهجّرا بسببها وتزوّجا من خلالها وطلّقا لآثارها وكان عمرها سبع سنوات. الأمّ تهجّرت من جنوب لبنان جرّاء الاجتياح الإسرائيلي في العام 1982 إلى منطقة النبعة، والأب هاجر بحثًا عن عمل. بعد الانفصال، عادت الأمّ والفتاة إلى منطقة النبعة، وأصبحت «آمال» طفلةً في الشارع والأمّ في بيوت الدَّعارة.

- **العوارض**

يظهر من خلال تصرُّفات «آمال» أنّها طفلة أُمِّيّة وذكيّة، عانت من التشرّد ومن اضطراباتٍ في المزاج، ومن نوبات غضب وحزن وعناد حادّ. ترفض السلطة وتفرض سلطتها، ولا تستطيع التواصُل مع أصحابها إلّا مع الذي تختاره من بين الصِّبيَة ليكون حصرًا لها وتكون حظرًا عليه.

- **التحليل**

أثَّرت في «آمال» أربعة عوامل أساسيّة نتيجة الحرب على لبنان؛ فأهلها عاشوا الحربَ بكلّ مُعاناتها وآثارها. وتطلّقَ والداها وانفصلا ليعيش كلٌّ منهما في بلدٍ وليغدو لكلٍّ منهما حياته الخاصّة، فسكنت الفتاة الشارع (وهو من أحياء حزام الفقر لمدينة بيروت) وعانت من مخاطره واستغلاله وقسوته.

امتصّت «آمال» ورضعت اضطرابات والدتها الناتجة عن الحرب. أدّى ذلك، إلى جانب انفصال والدَيْها، إلى صعوباتٍ تعلّميّة وسلوك عدوانيّ وتقلّبٍ في المزاج، فضلاً

عن رفضٍ للسلطة واضطرابٍ عاطفيّ، وأنشطة جنسيّة مُبكِرة. كيف لا والفتاة ترى أمَّها بأمّ عينها تُمثّل الإثارة وتأتي برفقة الرجال لاستلامها من المركز؟

إنّها الفتاة التي تشرّدت اجتماعيّا وعاطفيًّا وحاولَت إرضاء أمّها بالبحث عن فالوسٍ وهميّ ـ بتفرّدها بالصبية ـ لإبعادها عن الخيانة وليعود والدها ولتعود رغبتها به.

إنّها الفتاة التي حملت مُعاناة عائلة هاجرت، فعانت وتشرّدت ثمّ انحرفت للبحث عن اللّذّة الضائعة.

الحالة رقم (8): هذيان طفلة: آثار الحرب من اللّاتواصل إلى الصدمة[22]

- **تقديم الحالة**

«منال» في الحادية عشرة مِن عمرها، من أمٍّ عراقيّة عانت من حرب العراق فهاجرت إلى لبنان وتزوّجت من لبنانيّ (الأب) عانى أيضًا من الحرب اللّبنانيّة.

- **طلب الاستشارة والتقنيّات المُستخدَمة**

طلبت الأمّ الاستشارة العياديّة لابنتها، بعدما طلبت المدرسة من الأهل متابعة الطفلة نتيجة تصرُّفاتها، مثل عدم القدرة على الانسجام مع المحيط، والتكلّم باستمرار مع نفسها تجاه الحائط.

في بداية الجلسات تكلّمت «منال» اللّغة الفرنسيّة لأنّها ترفض لهجتها العراقيّة. ولم يكُن من السهل التواصل معها، وبخاصّة أنّها تعيش في عالَمِها الخاصّ. لم تنجح معها تقنيّة الرسم التي رفضتها ودخلت بعدها في مشاعر اضطهاديّة وحركات غير متناسقة. كما لم تستطع الكلام بالمباشر عن نفسها أو عن عائلتها، إلّا أنّها استطاعت أنْ تُعبِّرَ وتتجاوبَ مع قصص Louisa Düss بالتعابير التالية: «العصفور مات»، «الفيل قصقصوه كلّه»، «الأب ما بياخد الفتاة أيّ مشوار»، «الحلم بخوّف». وانتقلت إلى اللَّعِب بالتماثيل الصغيرة بصمت؛ وشيئًا فشيئًا استطاعت أن تتكلّم على قصصهم التي استطاعت من خلالها التعبير عن بُغضها لأمّها، وعن كيفيّة خيانتها لوالدها عبر الهاتف مع رجل عراقيّ،

(22) حالة من تقديم المُعالِجة النفسيّة السيِّدة «نظيرة باسيل».

وعن غيرتها من أختها المفضّلة لدى الجميع. استطاعت «منال» من خلال التقنيّات التعرّف إلى الفرْق بين الواقع والخيال واستطاعت الأمّ من خلال سلوك «منال» التوصُّل إلى قبولها ومُحاولة احتضانها.

- **تاريخيّة الحالة**

«منال» الفتاة الأولى للعائلة، وعند ولادتها قرّر الزوجان العودة إلى العراق بعد خضّات هذا الزواج وخيباته. وما هي إلّا فترة قصيرة ـ كثرت فيها التفجيرات في العراق ـ حتّى عادت العائلة إلى لبنان حاملةً معها أزماتها واكتئابها.

بسبب كلّ ما عانت منه العائلة، من هجرٍ وتركٍ وحروبٍ وأَسرٍ، كانت الأمّ تتصرّف مع الرضيعة بردّات فعلها الاكتئابيّة، مِنْ ترك وعدم اهتمام سوى بما يُبقيها على قَيد الحياة؛ فكانت تضع لها الرضّاعة مسنّدة على الوسادة، من دونَ أن تلمسها أو تحضنها أو تتحدّث إليها.

والأب في دكّانه منشغلٌ إلى ساعاتٍ متأخِّرة لكسب لقمة العيش وهربًا من زوجته ـ كما تقول الزوجة ـ. وهكذا نمت الطفلة مِنْ دون تواصل أو عاطفة، إلى أن قرّر الزوجان إصلاح زواجهما بإنجابٍ ثانٍ، فوُلِدت فتاةٌ ثانية بعد سنتَيْن من ولادة «منال». فبدا وكأنّ الأخيرة وُلدت من جديد مع قدوم أختها التي دفعتها لتعلّم الأحرف، وكانت سببًا لتواصُلِها مع أهلها.

تأخّرت «منال» في تعلُّم الكتابة والقراءة، إلّا أنّها استطاعت في ما بعد التعويض والتأقلُم. إلى أن جاء اليوم الذي انتقلت فيه إلى فرعٍ آخر لمدرستها في قريةٍ أخرى لها إدارة أخرى؛ وبعدما كانت الأمّ توصلها إلى المدرسة أصبح الباصُ هو البديل، فبدأت بالتراجُع الدراسي وظهرت عوارض الهذيان عليها.

- **العوارض والأواليّات الدفاعيّة**

نُلاحِظ سلوك «منال» الهذياني من خلال تكلّمها مع نفسها، وعدم القدرة على التواصُل مع الرّفاق، وعدم التركيز، واللّامبالاة لِما يحصل من حولها والهرب من واقعها إلى عالمٍ متخيَّلٍ أكثرَ أمانًا وأقلّ صراعًا، وأكثر تواصلًا وحمايةً وأقلّ ترْكًا وقلقًا.

- **التحليل**

عانت «منال» منذ ولادتها من جرّاء اكتئاب أمّها، فتُركت وحيدة بغرفة مِن دون اهتمام ولا رعاية ولا قبول. فكانت بحربٍ مع ولادتها لتبقى على قيد الحياة. فالأمّ تركت بلدها للبحث عن الأمان، والأب ترك بدوره بلده للبحث عن الأمان، فتركا الطفلة وحيدة تبحث أيضًا عن الأمان. ففكرة الترك ومعاناة الحروب التي عاشها الأبوان انتقلت إلى الطفلة ولم تستطِع التعبير عنها إلّا عندما انتقلت من مبنى دراسي إلى آخر، وانتقلت من مصاحبة الأمّ إلى المدرسة، ليكون بديلها الباص، فظهر الهذيان عند «منال».

وهذه الحالة ذَكَرَها فرويد من خلال مفهوم «Nachträglichkeit» «l'après-coup»[23] وهي إعادة لوضعيّةٍ حدثت سابقًا وتمّت استعادتها بسبب عدم القدرة حينها على التعبير عنها. فهذه الفتاة حملت كلَّ معاناة الأهل من جرّاء الحروب على بلادهم، وعدم قدرتهم على تخطّي أزماتهم التي جعلتهم غير قادرين على التعامُل مع طفلتهم، سوى عبر صعوباتهم في التأقلُم مع المحيط.

إنّ ما حملته الأمّ من اكتئاب جَعَلَها غير قادرة على التواصل مع رضيعتها ـ غير المرغوب بها ـ. وعندما استفاق اللّاوعي عند طفلتها لم يستطع التواصل لا مع الأشخاص ولا مع الواقع. فنشأت الطفلة من رَحَم مُعاناةٍ حربيّة لتُحارِبَ نفسَها وحياتها ومُجتمعها عبر هذيانها، ولينشأ عالَمُها الذي هو مِن دون آخر، عالَمٌ خاصّ وآمن.

تحليلٌ عامّ لمُعطيات الحالات

يُمكِن القولُ إنّه وانطلاقاً من الحالة رقم 8، وهو ما ينطبق على بقيّة الحالات، ينقل الأهل بسهولة قلق الانفصال من جرّاء مُعاناة الحرب إلى لاوعي أطفالهم الذين يستعيدونها في كلّ مرّة وكأنّها أوّل مرّة «l'après-coup» أو في الألمانيّة «Nachträglichkeit». وهو مفهوم فرويديّ تحليليّ أشار إليه فرويد سنة 1917 على أنّه تعديل نفسانيّ تلقائيّ للأحداث السابقة يُصاحبه عدم تقبُّل واضح للمعاني وللوضعيّات الأولى التي تتشكّل من جرّاء الصدمة المُتلقّاة. وهو نوع من التأجيل اللّاواعي الحامي (موقّتًا) من الصدمة،

(23) Sigmund Freud, «Mes vues sur le rôle de la sexualité dans l'étiologie des névroses», *Résultats, idées, problèmes, (1890-1920),* (Paris: PUF, 1984).

لكنّه لا يمنعها لاحقًا وترتبط العودة إليها لاستخراجها بدَور المحلِّل الذي يُركِّز على ثلاثيّة «**الظهور**» و«**الاختفاء**» ثمّ «**الانبعاث**» (avènement-disparition-résurgence).

تتسجّل الصدمة في اللّاوعي لِما للفعل من حقيقة ومعانٍ؛ وحتّى لو تموضعت في الخفاء فهي تبقى تلك الحقيقة التي لا نُريد الاعترافَ بها لأنّها قائمة على إدراك النقص من خلال تفاقُم الصورة، فتتمّ الاستجابة عبر فبركة العودة بمنحىً وظائفيّ يرفض التروما. وتتكوّن ساعتها ذاكرة متعدِّدة رافضة تَظهر في وضعيّاتٍ مكبوتة أخرى.

ما يجمع بين الحالات المطروحة هو «الجرح» (blessure). تشعر الحالات باللّا أمان وهلع الحرب، كما تشعر الكثير من الحالات بالمزاجيّة، والنكوص بهدف العودة إلى وضعيّات عاطفيّة طفليّة؛ وقد رصدنا في الحالات الكثيرَ من العدوان على النَّفس وعلى الآخر في إطار سلوك انعكاسيّ نَزَويّ. فالحالة (1) على سبيل المثال استبدلَتْ قتل الأب بانكساره، وقَتلتْ رغبتَها بالأمومة مِن دون الاعتراف بالتماهي بأمّها. الحالة (2) استبعدَت دَور أهلها واستبدلتهم بأجدادها ظنًّا منها أنّها تستبعد الحرب...؛ ولا ننسى أنّ صدمة الحرب تُعيد إحياءَ النزوة المتراكمة فتتواجه نزوة الحياة بنزوة الموت... أمّا الحالة (4) فما بين الخوف من الحرب وواجب طاعة الأهل تأخَّرَ طلبُ الحماية لديها: هي أفعالٌ من تراكمات... تراكمات تعابريّة للأجيال تنشر إرثَ تروما عائليّة ومُعاناة الاجداد. ويمكن أن تكون هذه الحالات من ضحايا المشكلات العائليّة القديمة (أفكار ـ معتقدات ـ مواقف ـ تربية ـ هجرات ـ حرب ـ جروحات ـ ولادات ـ تنميط جندريّ...). وفي الحالات الأخرى تعرّفنا إلى تراكم أخذ حيِّزًا في الوعي وظهر على شكل مؤشِّرات ارتبطت بالموروثات. موروثات ترتبط بالبُعد التعابريّ للأجيال من خلال «شبح الأسرة» وبتعقيدات العصر التي لا يُمكِن تجاهلُها وما نتج عنها من قلقٍ ومن كسرٍ للثقافة الأصليّة.

وفي عصرنا الحالي زادت «الشعبويّة» التي لا بدّ مِن أن تُؤثِّر في التراكمات وفي تكوين الشخصيّة؛ وهذا ما برهنه Adorno من خلال تركيزه على تنميط الحياة الحاليّة بحيث أصبح تنميطًا مرضيًّا من خلال وسائل التواصل الجماهيريّة التي تنشر أنساقًا وأنماطًا تُجيد القولَ: «نحنُ أفضل مَن يُعلّمكم ويُخبِركم».

هو تعلُّمٌ يكسر السائدَ لكنّه لن يتمكّن من كسر المُتوارَث الذي لا يتوانى عن الظهور عبر «دلالاتٍ مشفّرة» جاهزة للتحليل لكنّها غير جاهزة دومًا للتعبير.

خلاصة

تتنامى ظاهرة الأطفال ضحايا الحرب كتعبيرٍ عن عَولمة الصراع بغياب سَنِّ قوانين حماية عالَميّة. ما يعني إدخالهم وزجّهم في الحرب: إزاحة العنف باتِّجاه الفئات العاجزة.

صعوبة التصالح والمصالحة إبّان الحروب التي تبدو دومًا استمراريّة سياسيّة لكن بأواليّات أخرى، هي الذهاب إلى أبعد حدود، هي مبارزة ما تلبث أن تصل سريعًا إلى الصغار والصغيرات، يتلقَّفونها ويُدخلون مفهوم العدوّ والحداد والانتماء والضحيّة ومن ثمّ الشعور بالذنب وهذا ما بدا في الحالات المعروضة. ولا ننسى أنّ مفهوم الحداد[24] Le deuil هو مفهوم أساسيّ في إشكاليّة الحروب وتقوم عليه الإشكاليّات الأخرى، ولا سيّما «الترك» أو الانفصال والفراق. وهي إشكاليّات تفضي إلى مشاعر متلاحقة من الحبّ والكره ولا تنتهي إلّا بانتهاء الحداد؟ فهل تمكّنت الصغيرات من ولوج حدادهنّ إلى نهاياته؟ وحتّى في اقترابهنّ من العلاج، هل أكملْنَ الطريق أو سَمَحَ لهنَّ الأهلُ باستكماله إلى ما بعد الحداد أو أنهنَّ وقفْنَ في دائرته الباتولوجيّة؟ إنّه الحداد الممنوع الذي يتحدّث عنه «شوقي عازوري» ويُشبِّهُ بحداد الحرب العالَميّة الأولى الذي حوَّل الأمواتَ إلى أبطال، والذي يزيد التناقض ما بين الحبّ والكره لأنّ تضحية الآباء ـ الجنود Pères/Soldats ربّما جعلتهنّ (أي الصغيرات) مشروع جنود تضحية غير قابلٍ للحداد عليه. فالموت لا يُمكِن إلّا أن يُولِّد الموت، فتتلاقى الأجيال على نقلٍ ثقافيّ للموت (أنظر فكرة Douville عن إرث الحرب وتجنيد الأطفال). تغيّرت وظائفهنّ الأنثويّة وسعيْنَ إلى أدوارٍ ذكوريّة فتمّ استبعادهُنَّ اجتماعيّا.

في الحروب، تستيقظ كلّ النزوات الأوّليّة، البدائيّة. تصبح الذاكرة ممتلئة بالصدمات وبالصور المُرعبة التي لا يُمكِن التعبيرُ عنها بالكلمات. إنّ الصغار والمُراهقين في الحروب يخافون، يقلقون، لا يملكون الموضوع (l'objet) الذي يُساعدهم على تجسيد معاناتهم، لذا يحاولون التفتيش عن موضوعٍ خارجيّ ليتخلّصوا من القلق والخوف عبر إشباع نزواتهم الجنسيّة، فحلّت الفتاة مكان الموضوع الجنسيّ والعاطفيّ.

(24) Chawki Azouri, «Deuil fini, deuil infini», *L'orient-le-jour* (2 April 2021).

وفي عودةٍ إلى «عدنان حبّ الله»[25]، تُزيل الحروب الأهليّة بشكلٍ جذريّ شخصيّةَ الأب في السلطة وتستبدلها بالخصومات الأخويّة القاتلة، وتُؤدّي إلى الإلغاء نفسه لأيّ شخصيّة رمزيّة قادرة على دعم المثل الأعلى.

تقوم الروح المعنويّة للجماعة على الروابط بين الجماعة ورئيسها وتأثير ذلك على الروابط بين الجماعة لأنّ الدوافع اللّيبيريّة هي أساس تلك الروابط: الحبّ والتساوي في الحبّ وإيقاظ الروح المعنويّة، ما يسمح للفرد باكتساب شعور القوّة وبناء الأنا الذي لا يتحقّق إلّا من خلال الانتماء للجماعة.

إنّه الرابط الاجتماعيّ الذي يُبنى من خلال اللّغة العلاجيّة التي تُمكِّننا وحدها من رصْدِ بنية الرغبة وأُطر التماهي. فالإشباع لا يُمكِن أن يحصل مِن دون أن يمرّ بوظيفة الكلام الخلّاقة (Parole) لكنْ بأزمنته العلاجيّة المتعدِّدة: القبول ـ الكلام ـ الفهم ووعي المشكلات ـ التغيير. ومع الصغيرات لا بدّ من مساعدة الأهل، فهل يتمكّنوا من العبور وتجاوُز مداميك التعثُّر والتثبُّت والتعصُّب الجندريّ؟

إنّه انبناءٌ تصاعديّ يُشبِهُ بناءَ العمارة[26] ريثما يتمّ الوصول إلى علاجات الحبّ والرغبة والدافع والأنسنة، أو إلى علاج التروما؛ ذلك أنّ التروما هي زمنٌ يُعيد تكوين العلاقة التبادليّة مع الآخر.

(25) عدنان حبّ الله، مرجع سابق.

(26) Viviana Melo Saint-Cyr Bravo, «Architecture et psychanalyse-l’art de bâtir dans la théorie lacanienne de la sublimation» (Thèse de doctorat, Paris 8, 2009).

لائحة الملاحق

ملحق رقم 1: جدول رقم (1)

الحالة الأولى، عوارض وأواليّات دفاعيّة

الاضطرابات الجسديّة	ـ التوتُّر الشديد وتناوُل المهدِّئات	ـ خفقات القلب السريعة، قطْع الأنفاس وصعوبة التحدُّث، عدم القدرة على التحرّك
الاضطرابات في التفكير	ـ عدم القدرة على التركيز	ـ تداخُل الأفكار وصعوبة في تنظيمها
الاضطرابات في التصرُّف والسلوك	ـ الغضب المتكرِّر ـ العدوانيّة	ـ الانزعاج الدائم، نوبات الغضب على ابنها الذكر، الشجار مع الزوج لغيابه ـ ضرب ابنها، الخوف من الموت لأخيها أو ابنها، وقتل أجنّتها
الاضطرابات العاطفيّة	ـ مشاعر متناقضة	ـ تعنيف الابن والخوف من خسارته: «الموت بأثّرعليّي كتير»
الأواليّات الدفاعيّة	ـ التماهي ـ الإسقاط	ـ التشبّه بأنثى العائلة المنصهرة بالوجع والرّافضة للذكر ـ إسقاط غضبها السريع على ابنها وزوجها.

ملحق رقم 2: جدول رقم (2)

الحالة الثانية، عوارض وأواليّات دفاعيّة

الاضطرابات الجسديّة	ـ مشكلة في البراز	ـ الاحتفاظ بالبراز في الحفاض ورفْض خلْعه
الاضطرابات السلوكيّة		ـ تكسير القلم خلال الرسم وتمزيق الورقة ـ صعوبة في الكلام والنظر إلى الآخر والاستماع له ـ «تتحكّم بالعائلة عبر بكائها». تقول الأمّ
الاضطرابات العاطفيّة	ـ حبّ التملك ـ شعور بالاضطهاد ـ قلق الهجر ـ الارتهان للجدَّين ـ فقدان الأمان والحماية	ـ تخبئة ألعابها وأغراضها وأخْذ أغراض غيرها ـ اعتبار كلّ ما لدى الغير لها ـ البكاء الشديد عند مغادرة منزل الجدَّين ـ التعلّق بالجدَّين المُكتئبَيْن (أهل الأمّ) ـ غياب الأمّ والأب عنها، وترْكها عند الجدّين معظم الوقت
الأواليّات الدفاعيّة	ـ التماهي بالجدَّيْن	ـ اختيار اللَّون الأسود (لون المعجون، لون الثياب، لون قلم التلوين...). ـ لعِب دَور الجدَّين تجاه الأبَوَيْن (فرْض سلطتها، الاهتمام بهما...).

ملحق رقم 3: جدول رقم (3)
الحالة الثالثة، عوارض وأواليّات دفاعيّة

الاضطرابات الجسديّة	ـ توتّر أعصاب	ـ نوبات متكرِّرة من الغضب (دقّات في القلب سريعة، صراخ، بكاء، عدم انتظام في النوم...).
	ـ فقدان الشهيّة	ـ الشعور بالتعب وقلّة الحيويّة
الاضطرابات في التفكير	ـ شدّة التفكير	ـ هزّ الرأس بحدّة، تكرار الكلمات والتثبُّت بالأفكار، خوف من الفشل ووجود أفكار انتحاريّة
	ـ فرط التذكّر	ـ الاسترجاع الدائم لمسلسل الحرب والقلق من عودته
الاضطرابات في التصرّف والسلوك	ـ إدمان وعدم التكيّف	ـ كثرة التدخين، صدام دائم مع الأهل، الاستخفاف وعدم المُبالاة
	ـ العزلة	ـ عدم الرغبة بالخروج، عدم الوثوق بالأشخاص، التأنيب الذاتي
	ـ العدائيّة	ـ هاجس الانتقام من أمّها وإظهار كراهيّتها لها، غياب العلاقات البنّاءة
الاضطرابات العاطفيّة	ـ الشعور بالاكتئاب	ـ حزن شديد ويأس مستمرّ لعدم الشعور بوجود أهلها بجانبها، نظرة تشاؤميّة، عدم تقدير الذات والشعور بالدونيّة
	ـ الشعور بالهلع	ـ هلع من رؤية توابيت وتفجيرات مدمِّرة، ومن أن تصبح كوالدتها المكتئبة
الأواليّات الدفاعيّة	ـ الإسقاط ـ التماهي	ـ إسقاط عدائيّتها على والدتها، وعلى الآخر ـ التشبّه بالسلوك الانحرافيّ لوالدتها.

ملحق رقم 4: جدول رقم (4)

الحالة الرابعة، عوارض وأواليّات دفاعيّة

الاضطرابات الجسديّة	ـ اضطرابات في التنفُّس والعلاج بالأدوية	ـ تكرار الظواهر النذَفس ـ جسديّة
	ـ اضطرابات غذائيّة	ـ جسم وهِن
	ـ مشكلات في التعبير والحبال الصوتيّة	ـ صعوبة اللّفظ في حالة القلق
الاضطرابات في التفكير	ـ تأخُّرٌ دراسيّ ـ شرود فكريّ ـ كثرة اللّامقال	ـ أخت أكثر تفوُّقًا ـ عدم تركيز ـ السرّ العائليّ: الحرب والطلاق
الاضطرابات في التصرّف والسلوك	ـ العدوانيّة والعصبيّة	ـ الامتلاك والسلبيّة
	ـ عدم القدرة على التواصُل مع الأصدقاء	ـ الحقد: «هذا غير عادل، هي/هو ليس لديه الحقّ» والانطوائيّة
	ـ اضطرابات مزاجيّة	ـ انفعال سريع وغضب غير مبرَّر
	ـ اضطرابات النوم	ـ قلق، وكثرة أفكار
الاضطرابات العاطفيّة	ـ التبعيّة العاطفيّة والتحكُّم بالآخر	ـ تصرُّف رضيع يحتاج إلى اطمئنان، والشكوى من عدم تفهّمها
	ـ المُعاناة والقلق	ـ التلاعب بالمرض
	ـ جمود عاطفيّ	ـ سلطة أنثويّة. الأمّ: «لا يُمكِن فعلُ ذلك، قولي لي الحقيقة...»
	ـ الغَيْرة	ـ الغَيْرة من الأخت (أكثر جمالًا وإغراءً، ومستقلّة وتُشبِه أمّها)
	ـ الوسواس	ـ بالأفكار، والكتابة، والنظافة وحب الامتلاك
الأواليّات الدفاعيّة	ـ التماهي	ـ التشبّه بالأمّ (وكأنّها متوفّية وبفراغ عاطفيّ، فقدان الإحساس)
	ـ النكوص	ـ رغبات في السيطرة والانتقام، والتبعيّة للأم.

ملحق رقم 5: جدول رقم (5)

الحالة الخامسة، عوارض وأواليّات دفاعيّة

الاضطرابات في التفكير	ـ صعوبة التفكير لحلّ المآزم ـ اللّامُقال	ـ تشوّش في الأفكار، الانسحاب وتفادي المُواجَهة ـ سرّ التحرُّش الجنسيّ
الاضطرابات في التصرّف والسلوك	ـ الانطوائيّة	ـ عدم الرغبة بالاختلاط والمُواجهة، عدم القدرة على حماية الذات
الاضطرابات العاطفيّة	ـ الازدواجيّة في المشاعر ـ الشعور بتدنّي قيمتها الذاتيّة ـ الشعور بالنقص والعجز	ـ مشاعر بين الحبّ والجنس ـ الرفض والاستياء: «أنا بحسّ فعليًّا خسرت حالي، لمّا اطَّلَّع على المراية بحسّ إنّو مش أنا» ـ الإحساس بعدم الأمان (لأنّو بابا بعيد عنّي)، الحاجة إلى العناق الدافئ والحنان، الحزن لتَرك أمّها لها
الأواليّات الدفاعيّة	ـ التماهي ـ الكبت	ـ العلاقة الذوبانيّة مع الأمّ وأسرتها ـ عدم التعبير والشعور بالذنب

ملحق رقم 6: جدول رقم (6)

الحالة السادسة، عوارض وأواليّات دفاعيّة

الاضطرابات الجسديّة	ـ صعوبة في النطق ـ صعوبة في التنفُّس ـ التوتُّر	ـ التعبير بكلمات متداخلة غالبًا غير مفهومة ـ التكلُّم بنَفَسٍ متقطِّع ـ قضم الأصابع مِن دون الشعور بألم
الاضطرابات الإدراكيّة أو المعرفيّة	ـ عدم القدرة على التمييز والتّركيز	ـ عدم التمكّن من إيجاد وسائط الإسقاط والتماهي ومن ظهورها (صعوبة اختيار صور الحيوانات المتشابهة، صعوبة في تركيب الـ puzzle…)
الاضطرابات السلوكيّة	ـ العدوانيّة تجاه الذات ـ الخوف من التواصل	ـ قضم الأصابع ـ التأتأة وقِلَّة الكلام وعدم وجود أصحاب
الاضطرابات العاطفيّة	ـ الرفض والاستبعاد ـ فقدان الحبّ	ـ تقول الأمّ: «ما إجت بوقتها… إجت وسافر بيّها…» ـ التعلّق الشديد بالأب الغائب/قضم الأصابع
الأواليّات الدفاعيّة	ـ التماهي	ـ التشبّه بالأمّ في الشكل وفي التصرُّف: «أنا ما بركّز منيح مثل ماما…».

ملحق رقم 7: جدول رقم (7)

الحالة السابعة، عوارض وأواليّات دفاعيّة

الاضطرابات الجسديّة	ـ مشكلة في البراز ـ شراهة في الأكل	ـ دخول المرحاض خلال كلّ جلسة لطلب اهتمام وقبول المُعالِجة لها ـ الاستمتاع بالأكل بكميّة مفرطة (الفقر والحرمان)
الاضطرابات في التفكير	ـ صعوبات تعلميّة	ـ جهل وغياب الدعم (طلاق الأهل، التشرّد)
الاضطرابات في التصرّف والسلوك	ـ تغيّرات مزاجيّة ـ عدوانيّة ـ سلوك انحرافيّ	ـ نوبات من الغضب والحزن ـ ابتزاز الآخر والتحكّم به، صعوبة تكوين صداقات ـ أنشطة جنسيّة مبكرة، الاستغلال من قِبَلِ الآخرين
الاضطرابات العاطفيّة	ـ الخوف من التَرك	ـ التعلُّق المرضيّ بالمُعالِجة، الشعور بالاضطهاد
الأواليّات الدفاعيّة	ـ التماهي ـ الإلغاء ـ الإزاحة	ـ التشبّه بالثنائيّة المُتناقضة من الأمّ ـ حبّ وكره ـ عدم تقبّل ترْك الأب لها والعَيش على فكرة عودته وبأنّها ابنته المدلَّلة ـ التعبير عن مشاعرها من خلال الآخر.

ملحق رقم 8: جدول رقم (8)

الحالة الثامنة، عوارض وأواليّات دفاعيّة

الاضطرابات الجسديّة	ـ الجمود	ـ حركات غير متناسقة، ضعف التواصُل اللَّفظي، تعابير وجه ثابتة
الاضطرابات في التفكير	ـ صعوبات تعلُّميّة ـ التثبُّت على اللّغة الفرنسيّة	ـ عدم التركيز واللّامبالاة ـ رفض اللّغة العراقيّة (لغة الأمّ وذكريات الحرب)
الاضطرابات في التصرّف والسلوك	ـ عدم القدرة على الانسجام مع المحيط ـ سلوك هذيانيّ	ـ البقاء وحيدة، عدم القدرة على التواصُل والتجاوب مع الآخرين ـ التكلُّم مع نفسها
الاضطرابات العاطفيّة	ـ الغيرة ـ الاكتئاب	ـ الإحساس بالرفض وتفضيل الأخت عليها ـ شعور بالحزن واليأس: «العصفور مات»، «الاب ما بياخد الفتاة مشوار»
الأواليّات الدفاعيّة	ـ الإلغاء والانفصال عن الواقع	ـ اللّجوء إلى عالَم متخيّل (ما بعد الصدمة) أكثر أمانًا وأقلّ صراعًا